تهذيب الأدب

إنشاء . مختار . لغة

وضعه الشيخ

محمود محمد مصطفى

المدرس بمدرسة التجارة المتوسطة

الطبعة الثانية

بها زيادات فى كل باب

١٣٤٠ ســـنة ١٩٢٢

حقوق الطبع للمؤلف

يطلب من المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها مصطفى محمد

شركة دار الطباعة الفنية

بشارع كوبري قصر النيل نمرة ٤٢

PJ
7677
M84
1922

﴿ مقدمة الطبعة الثانية ﴾

الحمد لله اذ صدق ظننا بالكرام المتأدبين من نشئنا ، فقد أقبلوا على الطبعة الاولى وكانت ألفى كتاب فنفدت في قريب من شهرين . وهاهم أولاء نفعهم الله بمجهودهم وسدد خطاهم الى أسمى مقاصدهم — يعجلوننا بطلبهم للكتاب أن نظهر الطبعة الثانية ، فنحن نخرجها زائدين فيها قطعا كقطع الرياض من كلام الجاحظ الذي نرى ان كتابته أليق البلاغات العربية بأن تحتذي في عصرنا ، ويقتفي آثارها كتابنا ، لما يربطها بحاجة العصر من السلاسة والليونة والاسهاب والتبيين . وأملنا أن في مداولة هذه الفصول تكوينا للملكات جاحظية يرفل منها أدبنا في أسبغ برد ، ويزهو في أنضر ديباجة .

المؤلف

٢٢ جمادى الاولى سنة ١٣٤٠

٢٠ يناير سنة ١٩٢٢

﴿ مقدمة الطبعة الاولى ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله المنزل قرآناً ، وصلاة على محمد أبين العرب بياناً ، وسلاماً على أصحابه أبلغ الناس حجة وأبلجهم برهاناً . (وبعد) فان المتأدبين من أهل زماننا قد أعرضوا الاعراض كله عن الأدب القديم ، وزهدهم فيه وعورة مطلبه وصعوبة طريقه ، من تشويه كتبه ، وكثرة اغلاطها ، واختلاط مسائلها . وهم (هداهم الله) قد اعتادوا أن يتلقوا العلم سهلا ، وأن يستسيغوه مريئاً ، لم يتجشموا له كدا ولم يتكلفوا مشقة . فكان شديداً عليهم أن ينظروا فى كتاب فتقف فى سبيلهم لفظة أو يظلم أمامهم أسلوب . فتركوا كثير الفائدة لقليل العناء

وكتابنا هذا يضم طائفة مهذبة من هذا الأدب منزوعة الكلفة ، قريبة المتناول . وهو ثلاثة أبواب :

الأول ما كتبته من الرسائل فى شتى الأغراض ، من الشكر . والتهنئة . والشوق . والتعزية . وما وضعته للطلبة من النماذج الأنشائية . فى نثر الأبيات ، والموضوعات الادبية . والأجتماعية . والوصفية . (وهو باب الأنشاء)

الثاني ما اخترته من سمر العرب . وفكاهتهم . ودقيق وصفهم . وبليغ كتابتهم . (وهو باب المختار)

الثالث فيه ابحاث ثلاثة من اللغة . هي الفروق . والاضداد . والكلمة تغنى عن الكلمات . وتلك الأبحاث كما سيرى المطلع هي حاجة الكتاب .

وضالة الشاعر . وعون الخطيب . بل هي لباب اللغة وسر بلاغتها . (وهو باب اللغة)

هذا . واذا لقى كتابنا من جمهور القراء رضاً ونال حظوة . وعلمنا أنهم قد قبلوه علماً . واستقروه مطالعة . وأصبحوا الى مامثل فيه متطلعين . ولنحو ما أرضاهم عنه ناظرين أخرجناه مرة ثانية بأبوابه وفصوله جاعلين حشوه أمثلة أخرى من القول . ونماذج مستأنفة من الكلام . ليكون ذلك مداولة للأدب . واحياء للدائر من رسومه

ولعل نشاط المتأدبين لما نكتب ينفث فينا من الهمة ما يصبح به كتابنا يدور مع الزمن فيظهر للناس فى كل عام . طريف من الكلام . ويوافيهم فى كل ابان . نموذج من البيان . والله الهادي الى كل خير وصواب

محمد رشيد طلس

١٦ ذى الحجة سنة ١٣٣٩

٢٠ اغسطس سنة ١٩٢١

الانشاء

نماذج من الرسائل

(١)

(كتاب شكر)

سيدى الفاضل

تحية واحتراماً . وبعد فقد تحقق رجائى بفضل مساعيكم . فشكراً شكراً على عنايتك بأمرى ، وحمداً حمداً لله الذى جعلني ممن يقعون بموضع من مساعدتك ، ويستحقون في جميل رأيك مَدَداً من جاهك ، ويتسع لهم وقتك الضيق بالكثير من حاجات الناس عندك

هذا . وإذا كان لى طلب إلى الله فهو أن يبقيك لمثل هذه الكُرَب تفرّجها ، ولِشِبهِ تلك الزّفرات تُنفّسها ، ولنحو هذه الآمال تحققها ، وأن يديم لى ذلك العطفَ منك علىّ والسلام

(٢)

(آخر فى هذا المعنى)

سيدى الفاضل

تحية واحتراماً . وبعد فأن . . . . . أثر من آثار عنايتكم بشأنى ومنة من منكم علىّ

ولقد أكون مُغْتَبِطاً [١] إذا نهض بالشكر ما أعددتُه لعظيم ما أفضلتم من اعتقاد الطاعة ، والتنسك [٢] بالحمد ، والاعتراف بالعجز ، وتفضلوا بقبول التحية من

الشاكر

(٣)

(فى الشكر أيضا)

من طالب لمعلمه

أستاذى الفاضل

تحية واحتراماً . وبعد فقد كان من فضل عنايتكم . . . ، فما ذا

---

(١) مسروراً (٢) التعبد

يفعل عبدُ نعمةٍ ملكتَ رقَّه بتعليمك وإرشادك ، وعطفك وعنايتك ، قديماً وحديثاً ، إلا أن يطلب من الله أن يوفيك حقك من الشكر ، وليس في ملك غيره ذلك

هذا . وإني أطلب إلى الله أن يَمُدَّ في أجلك ما بقي محتاج إلى معونة تأخذ بيده ، ونهجُ (١) معروفٍ تسلكه بهمتك وجاهك والسلام

(٤)

(في الشكر أيضاً)

أستاذي الفاضل

تحية واحتراماً . وبعد فأن .... هو منَّة (٢) في طيها منن ، ونعمة تضمنت أني لا أزال موضعا لعطفكم ، سعيداً بأن يمر ذكرى بخاطركم ، متمتعا برضائكم عني . وان اغتباطي بهذه النعم المنطوية لأشد

وتفضلوا

---

(١) طريق (٢) نعمة

(٥)

(شكر وداع من طلبة لمعلمهم)

أستاذنا الفاضل

هذا كتاب أملته ضمائرنا ، وأوحت [١] به قلوبنا . فلعله يؤدي بعض ما للأستاذ علينا من حق ، وما ندين [٢] به من رق للشمائل الكريمة ، والنفس العظيمة ، والدرس النافع ، والأدب الرائع [٣] ، فاقبله شكراً ان كان في اللفظ غناء ، [٤] أو قام الشكر للنعمة بحسن الاداء . وأجب نداء تلاميذك الذين يقولون

اذكرونا ذكرنا عهدكمو
رُب ذكرى قربت من نزحا [٥]

(٦)

(ثناء على مؤلف)

سيدي المؤلف الفاضل

أكتب الى سيدي مهنئا بالفوز في ميدان تقاصرت [٦] عنه

---

(١) اشارت ودلت (٢) نعتقده ديناً (٣) الجميل الباهر
(٤) نفع (٥) بعد (٦) ضعفت

الهممُ وضلَّت فيه الآراء، فأحرزتَ خطَر[١] السبق فى حَلْبة[٢] فِرسانُها نُخْبة السادة الأعلام، وأعنَّتها[٣] المُرْهَفات[٤] من الاقلام. ولئن كان كل من ألَّف قد استهدف[٥]، لقد ألَّفتَ، فألطَفتَ، وكتبت، فنظمت، عقودَ العرفان، تُزرى بالجُمَان[٦]، وجلوتَ لغتنا العربية، وضَّاءة الجبين نقيَّة. وأريتَ الجاهلَ المكابر، ممن كل همه تأبُّط الدفاتر، وتلويث ثيابه من المحابر، ان لغتنا لا تضيق بنظام من نُظُم التأليف، ولا تقعد عن تأدية أى معنى شريف. فقد كان كتابك هو الحاجة التي فى نفس كل حريص على خدمة لغتنا الشريفة العربية فقمت بأحسن الاداء عن كل من نصبوا أنفسهم لخدمتها. فلك الشكر من كل قلب، وعلى كل لسان، وبكل قلم قوَّمتَه بارشادك وشذبت[٧] نواحيه بحسن ابتكارك

لك اللهُ! لقد أبيتَ إلا أن تكون نافعاً للمتعلمين شاهداً وغائباً، ومشافِهاً وكاتباً، ولم يُرْضِك إلا أن تكون مُشْرِفاً على التعليم من كل مكان وأن تكون هاديا لطلابه في كل آن

وأن التاريخ الذى سجل لابن المعتز أمير المؤمنين والشعراء،

---

(١) علامة الفوز (٢) فرسان السباق (٣) جمع عنان وهو اللجام
(٤) المحددة الاطراف (٥) وقف فى مرمى السهام
(٦) حب كاللؤلؤ يكون من الفضة أو يموه بها (٧) حذفت زياداته

فضلَ السبقِ إلى تأليف البديع ، سيخلّد لك بالشكر والثناء ، فضلَ ابتكار هذا النظام البديع

وتفضل بقبول التحية من الشاكر بلسان اللغة والقائمين عليها

(٧)

(شكر على هدية)

بلسان فرقة من الكشافة لعظيم أهدَى إليها طبلين وبوقا حضرة صاحب العزة

تفضلتم باهداء طبلين وبوق لفرقتنا فحَقَّ علينا أن نشكر لكم ذلك الصنيع شكراً يملأ الأسماع ، ويرن صداه فى البقاع ، ويوقَع على النغم ويعذُب [١] ترتيله فى الفم . هديةٌ دلت على ذوق مهديها ، وصنيعةٌ خلّدت بيننا اسم مُسديها [٢]، فاقبل عليها الشكر من أولئك البَرَرَة الاطهار ، والانجاب الاخيار . فاذا رأيتهم قد خرجوا يحملون الطّبل وينفخون فى البوق فانما يحملون فى صدورهم شكرَك ، ويُذيعون [٣] فى أبواقهم ذكرك !

وبعد فاننا نعد هديتك درساً نافعا ، ومثالا واقعا ،

---

(١) يحلو (٢) مهديها (٣) ينشرون

نذكره فى باب العمل الطيب والمعونة الجليلة

فنشكرك بلسان الكشافة وخدمتهم الصادقة لاننا رأينا فى عملك شرفا ساميا وغرضا طاهراً ومعونة على الخير الذي وقفوا أنفسهم عليه

وتفضل بقبول الشكر والاحترام

من

الشاكرين

(٨)

(تهنئة برتبة)

حضرة صاحب العزة

لقد كنا نقدم لك فى صباح كل يوم ومسائه تهنئةً برتبة فى الفضل تعلوها ، وشكراً على حقيقة من العلم تثبتها وتجلوها (١) ، واعترافاً بعارفةٍ (٢) تَمُنّ بها وتُسديها

ما زلنا كذلك نأتى بما يجود به جَهْد المستطيع ويشقّ علينا أن نصل باللفظ إلى الغاية من شرفكم الرفيع ، فكنا نقنع بالنية الصالحة نضم عليها الجوانح ، ونستوزع (٣) الله أن تكون فى ميزان الفضل خير راجح . حتى أجاب الله دعاءنا ولبى نداءنا

---

(١) تظهرها (٢) صنيعة (٣) نستلهم (نطلب ان يلهمنا)

نهنئك بما أُعطيتَ من (السعادة) الجديدة ونحن على الحقيقة أولى أن نُهَنَّأ بها . فهى فى جاهنا . (إذ أنت رئيسنا) عنوان كمال وفى آمالنا (وأنت منعشها) ماءُ حياةٍ تهتز به وتربو

عُنيتُ قبل اليوم باستقراء [١] أمثلة الايجاز فى البلاغة العربية فما رأيت كاليوم مثالا فى بلاغة الثناء والاعتراف بالفضل كبراءة [٢] رتبتك الجديدة فهى صحيفة اختزل فيها ديوان ، وألفاظ كل حرف منها على أنواع من الفضل دليل وعنوان

وبعد فاذا جد كل عظيم إلى مثل هذا الشرف ليَحُوزه [٣]، فقد جد هذا الشرف إليك ليدركك وتأبى إلاّ أن تجُوزه [٤] . (فأنت أعظم) وإذا تعب كل عظيم ليبلغ هذه الغاية ثم يقول قَدْنى [٥] ، فقد أنشأ لك المجد عزائم تقرب المشاغل وتدنى . (فأنت أعظم) وإذا هُنّىء كل عظيم بوسام لبلوغه به الشرف . هُنىء وسامك إذ علا بك وأشرف . (فأنت أعظم)

لازال سيدى معروف الفضل . مشكور العمل . منقطع القرين [٦] . كثير المعين . فياض المَعين [٧] ولا زلنا نستنير

---

(١) تتبع (٢) ورقة يكتب فيها الانعام بالرتبة (٣) يحرزه
(٤) تفوته وتتجاوزه (٥) كافيني وحسبي (٦) أى لا نظير له كأن قرينه انقطع وجوده (٧) المنبع

ببدره .ونحل من العناية بذكره . والسلام ؟

(٩)

(تهنئة بوسام النيل منحه شاب أديب)

صديقى الفاضل

هذا هو الفضل قد جعلنا لك زعامته [١] ووكلنا إليك كفالته وخولناك رياسته . فكن به زعيما

أما كفى فضلكم أن يذيع ويضوع [٢] . ويتفجر من عذبه فى كل يوم ينبوع . ويقام عليه من اعترافنا ألف برهان . ويحتج له بكل لسان ، حتى طأطأت الكهولة للشباب ، وافسح المجال للآداب

أهنىء سيدى بوسامه الجديد تهنئة جديدة لأنى أجد له في نفسى نشوة [٣] لاعهد لى بها ، ومسرة لم يجد قلبي مثلها ، فانها مسرة الفضل ركز فى نصابه [٤]، والبدر تجلى من نقابه ، والادب انتعش حاله ، وأنصف رجاله

فحمداً لله على ماأنعم (وإنى بالحمد لمدين) فان وسامك قد زادنى

---

(١) الرياسة (٢) تنتشر رائحته الذكية (٣) انتعاشاً
(٤) نصاب السيف والسكين مقبضه

قوة فى احتجاجى لفضلك ، وإشادتى بذكرك ، وتعصبى لادبك وعلمك

فاهنأ ياسيدى بوسامك وعدّه طليعةً للمجد وسلماً للرقي فان القطر أول الغيث [١] ، ومبدأ العذو رَيث [٢] ، وأول الصباح خيط دقيق في الظلام الدامس [٣] ، وفاتحة السرور انبساط أسارير العابس ، ثم بعد ذلك ماشاء الله من أمداد [٤] الخير تتلاحق بساحتك ، وتزدحم ببابك

وإذا رأى الناس أن (وسام النيل) قد جعل برهانَ جدك وأعمالك ، رأيته قد اضيف إلى النيل لانه جاد بأمثالك

(١٠)

(كتاب شوق)

صديقى الفاضل

تحية وسلاماً مشفوعين لك بحنين غريب . وحاجة حريب [٥] . أبعد عن أوطانه ولم يعوّض من اخوانه . يذكرك إذا قلّ فى

---

(١) المطر الكثير (٢) بطء (٣) الشديد الظلمة (٤) جمع مدد وهو المعونة (٥) مسلوب (والمراد مسلوب العقل لحرمانه اهله واخوانه)

الناس الوفاء . وغاض [١] ماء الحياء . ويظمأ اليك حين يعوزه سحرُ البيان [٢] . وأَلمعيَّة الجنان . بل يُجاد [٣] حين يأخذ على الدهر أننا ما اجتمعنا الا للوداع . ولم تستقر بنا النوى حتى دعانى الداع وبعد فقد كان لكتابك بَرْدٌ على كبدى وشعاع أضاءت به جوانب أملى إذ ذكرتَ أن اجتماعنا قريب

فحقق الله قولك حتى يكون أسعدُ ما أسعد به رؤيتَك والسلام ؎

(١١)

(آخر فى الشوق)

سيدى المحترم

لئن كان الشوق في الناس واحدا إن شوقى إليك كثير ؛ لأنه شوق الى خِلال من الفضل تجمّعت فيك ؛ فأنا عطِش الى روحك العذبة ، ظمآنُ إلى حجتك البالغة ، صَدْيانُ إلى صراحتك الحقة ، لهفانُ إلى نظراتك الدقيقة ، مَجْهودٌ [٤] إلى نفسك الابية

---

(١) نقص (٢) يحتاج الى سحر البيان (٣) يشرف على الهلاك
(٤) مشرف على الهلاك من العطش . وليلاحظ القارىء استعمالنا مراتب العطش فى عطش ثم ظمآن ثم صديان ثم لهفان ثم مجهود

أندب حظى فى فراق لهؤلاء الشمائل حتى إذا وجدت بريقا من إحداها فى أحد عكفتُ فى مجلسه لعلى أجد فيه ريحك إلى أن يفنّدنى[١] الحسّ ، وأشعر بالفرق بل أكاد ألمس . حتى قلت أن من المستنكَر ، أن تجمع شمائلك في غيرك طوال الدهر

(١٢)

اتى رُحْلَةٌ[٢] من العلماء وحجة من الادباء على كتابنا (النماذج الحديثة) فكتبت اليه اشكره

تحية وسلاما . وبعد فأنى جدير اليوم أن أتيه بكتابى وأعجب ، إذ قد تناولته أكبر عناية فوجهت اليه أثقبَ فكر ، فأعمَل فيه أنبل قلم وأشرفه

ثَمَرَفٌ يَنْطَحُ النجوم بِرَوْقَيْ

هِ وعنزٌ[٣] يُقَاتِلُ الاجبالا

جزاكم الله عن الهمم الضعيفة تأخذون بأضبَاعها[٤] ، وعن الآمال الخابية[٥] تشقبونها[٦] بأنفاسكم ، وعن الاناس

---

(١) يكذبني (٢) العالم يرحل الناس اليه لاستفادة علمه
(٣) قرنيه (٤) جمع ضبع وهو العضد (٥) المنطفئة (والمراد الآمال الميتة) (٦) تشعلونها

المغمورين [١] تنبّهون من شأنهم . ذلك شأنى معكم حين تناولتم كتابى بالاطراء

(١٣)

(خطبة وداع لراحل)

سادتي الافاضل

إن موقفى هذا لاشد مواقف الوداع على قلبي الواله [٢]، وكبدى الحرّى ، ونفسى المؤلمة التى لا تزال تروّع كل يوم بمن أنِست اليه واعتادت الإحسان منه

وإني لاخشى ألاّ أملك عبرتى أو أن يعقل الاضطراب لسانى فلا أستطيع فى ذلك الوقت القصير أن أوفيك أيها الصديق ما تستحق من الثناء ، وأعترف بمالك فينا من صنائع المعروف . وإنني إذا قلت فأنما أترجم عن قلوب إخواني وأنوب عن ألسنتهم وأحكى النّغمة التي تَشْجيهم وتأتلف مع أحزانهم

سلام عليك

سلام على تلك الخلائق إنها مبرّأة من كل عار ومأثم

سلام على شهم فاضل ونزيه أبيّ . سلام على تلك الاخلاق

---

(١) الخاملين (٢) الذاهب من الحزن

الطاهرة التي كانت لنا مورداً نَنْهَل [١] منه ونَعِلّ [٢] ، فعدل نرتع في بحبوحته ، وحلم يتسع لكثير من جهلنا وهفواتنا ، وطهارة ذمة لا تغيرها الحوادث

ثق منا بحسن الولاء والاعتراف بالجميل فأن لك فينا آثاراً تمثّلك في ضمائرنا أحسن تمثيل

كيف السُّلوّ وكلُّ موضع لحظةٍ
أثر لفضلك خالدٌ بأزائي

ثق منا بأننا محبون لك نضن بك ولا نرضى برحيلك ولولا أن ذلك سير في سبيل الرقي كما يسير البدر للتمام لكان لفراقك مرارة لا تحلو ، وغضاضة [٣] لا تحتمل . . . نحن لا سبيل لنا إلى نسيان ما أوليتنا من جميل ، وقيّدتنا به من إحسان . (ومن وجد الاحسان قيدا تقيّدا) فهل أنت متعطف على إخوانك ومقابل إخلاصهم بذكرك لهم

(١٤)

كتاب فاكهة لأحد الاخوان وقد زرته فقيل لي انه خارج المنزل

* * *

---

(١) ، (٢) شرب ثم عاود الشرب (٣) مكروه

كتابي إلى السيد الماجد والاديب النابه . وأنا على شوق لرؤيته كبير . وفي حاجة الى سماع دُرّه النظيم والنثير .

كان سيدى قد خصّني بميزة تِهْت [١] بها على الصحب والإخوان وهي الإذْنُ لى فى كل ساعة من ليل أونهار . فلم أكن أُحجب دون طلعته . ولا أحرم سمره وحُسْنَ لِقْيتَه . وطالما ثقّلت فاعتدّ ذلك فضلا . واعتذرت فرأى ذلك ضنًّا وبخلا . فعلَ الآمل اذا رغب . بالمأمول اذا أغبّ [٢] . هكذا عودني الاستاذ حيناً من الدهر ثم طرحني نواه [٣] . وعوضني من لقائه نواه [٤]

قصدتك فى ساعة (يعلم الله والناس) أنه لو زُلْزِلت الارض زلزالَها ، وأخرجت الارض أثقالها ، ونفخ فى الصُّور ، وبعث من في القبور ، ما زايلتَ مجلسك ، ولا حللتَ حُبْوتك [٥] ، ولو نودي فيها بالناس ليأخذ كل ما وعده الله من خير . ما سرت قِيد شبر ، الى جنة عرضها السموات والارض . فضحكت حتى خفتُ أن تسمع ضحْكتي حين أخبرتُ بأنك خارج المنزل

---

(١) تكبرت (٢) أطال غيبته (٣) بذرة البلح (٤) فراقه

(٥) الحبوة حبل يجمع به الجالس بين ظهره ورجليه وهى جلسة العرب ويقال فلان لاتحل حبوته كناية عن رزانته وحلمه . وفى هذا القول وما بعده تعريض بأن صديقنا بطيء الحركة شديد الفتور اذ هو مفرط السمن

وقلت لو أن النشاط الذى اعترى سيدى فى هذه الساعة ، ناله فريق من المتقاتلين لانتهت هذه الحرب العظمى فى الوقت والساعة [١]

فاذا كان سيدي قد ترك عادته ، ونسى غريزته ، وعوّل على الخروج من المنزل في هـذه الاجازة الطويلة مرة أو مرتين فلنا أمل في لقائه في واحدة منهما والسلام عليك حتى نلتقي

(١٥)

(تهنئة بعيد وشكر على حفاوة)

سيدى المحترم

قد أسعدنى الحظ بزيارتكم منزلى فى هـذا العيد فكان لى بذلك شرف أكاثر به الاخوان ، وحُظوة أتيه بها على الاخدان ، وعزة تغنينى عن إقبال الزمان ، وسعادة لم تحقق لانسان . فَلِلعيد عندي منة لم يَمُنّ بها على أحد من قبلى ، ويد يقصر عن شكرها قولى ، فأهلا بكل عيد ومرحباً . إذا تلقانى بمثل هذه النعمة وحبا [٢] ، بل أهلاً بكل يوم ألقاك فيه سعيدا ، فاني أراه على الحقيقة عيدا

---

(١) كتب هذ الخطاب في ايام الحرب العظمي

(٢) أعطى

(١٦)

(تعزية عن والد)

صديقى الحازم

إلى عقلك الراجح اسوق قولى ، والى إيمانك الثابت ويقينك القوى أهدي حديثى

قد ملكتنا العبرة وهجم على نفوسنا الأسى ، لحرماننا ذلك الفضل الكبير ، والعلم الغزير ، والعون والظهير . والشرف العالى ، والجاه الغالى . حزناً ، وكاد الحزن يقضى على نفوسنا ، والعبرة تذهب بأبصارنا . ولكن فيم هذا الجزع ؟ والدنيا كلها الى زوال ، وحتام هذا العويل ؟ والدهر لا يرد مسلوبا ، ولم هذا الاسى ؟ وهو تضييع لاجرنا ، وزعزعة لايماننا ، ووهن فى أجسامنا

هذا . وكيف اكثر لك القول وانت فى الموعظة أمامنا وفى الحيرة هادينا ، فعد الى عادتك واطرد الجزع من تحظيرتك[1] ، وكن عند أملنا فى ثباتك ورباطتك[2]

أنت يافوق أن تعزّى عن الاحـ ـباب فوق الذى يعزيك عقلا

واعود فأقول : ألست فى منزلة الحمد اولى بك فيها من

---

(١) مكانك (٢) قوة النفس والاحتمال

الجحود ؟ والرضا أليق بك من السخط ؟ . ألم تسهل القدر أباك ، حتى ربّاك . ونهضت بأعباء الحياة فصرت فى الدنيا ظلّه الظليل ، وذكره العاطر ، وسيرته المحمودة ، بل شخصه الخالد الى ماشاء الله أسكن الله الراحل جنته ، وألقى على آله سكينته والسلام

(١٧)

(تعزية عن ولد)

صديقى العاقل

الله هو الذى أعطى ومنع ، وسلب ومنح ، وأصح وأسقم ، وعفا وانتقم . وهو المالك لكل ناصية ، والقادر على كل دانية وقاصية . والحكيم فى صنعه ، واللطيف فى قدره . وهو الذى دبّر هذا الملك فزاد ونقص ، وأرسل وحبس . ورفع ووضع . وشتّت وجمع . وأضحك وأبكى ، وأمات وأحيا . له الملك لا إله إلا هو . فهل ينبغى لعبد ضعيف يجهل مقدار إحسان ربه اليه ، ولا يستطيع أن يحصى ثناء عليه ، أن يقف بحزنه وعويله موقف الكاره لقضاء ربه ، الناقد لمشيئته فيه . وهل نسى أن الله بعباده رءوف رحيم ؟ فما قبض حتى عوّض ، ولا قتّر إلا يسّر . ولا قطع إلا وصل ، ولا أخذ إلا رد . أم هل نسى الجازع أن الموهوب الباقى أكثر

من الحق المسترد ؟ وأن فى المستقبل أملا لانعرف مداه ، وتعويضاً تندم معه على جزع اقترفناه

فلا تجزع جزع النساء ، ولا تشمت بك الاعداء . وكن أنت مسلياً لمن حزن ناصحاً لمن جهل

وبعد فعوضك الله عن فقيدك خيرا وجعل هذه المحنة آخر مايؤلم ، وصيرها بصبرك ورضاك بابا للنعم المترادفة والرضا الشامل . آمين

(١٨)

(تسلية عن تأخر رقى)

سيدى الفاضل

لقد ساءنى والله تأخر الحظ بك عما تؤهلك له منزلتك ، وتوجبه همتك ، ويكون فى المجازاة كِفاء[1] عملك ، ووفاق فضلك . ولكن مشيئة الله فوق كل تدبير ، وقضاؤه يغلب كل عون ونصير . فحمداً لله على مامنح ، ولا كُفران للمنع . وصبراً فهذا امتحانه . واعتصاماً بالرضا فهذا إبّانه ، وتجلداً على الدهر فهذا أوانه . وليس قليل مع بركة الله ، ولا مع حرمانه تعويل على جاه . أيسوءنا

(١) مثل

التأخير وهو شأن النبهاء ، والاقتار [١] وهو لازمة العلماء . والخمول وهو مصير كل فاضل ، والاخفاق [٢] وهو غاية كل عامل

ليهن المحروم أن صارت الجدة [٣] تهمة ، وليسعد الخامل أن أصبحت الشهرة نقمة . وليهون على المنبوذ أن كان الرضا لا ينال الا ببذل الرقاب ، والوقوف بالابواب ، بل السجود على الاعتاب . فتعسا للجاه في هذه الايام ، وبعداً للرفعة بين هؤلاء الانام . وأهلا بالحطة فيهم فهي الشرف ، والاقتار بينهم فهو غاية الوجد [٤] والترف ، ومرحبا بالعطل مع حلية النفس وبزراية الحال مع البراءة من الرجس [٥]

(نماذج من كتابة الانشاء)

(١)

إذا لم تستطع شيئا فدعهُ ... وجاوزهُ الى ما تستطيع

وكيف تريدُ أن تُدعى حكيما ... وأنت لكل ما تهوى تبُوع

(الشرح)

جهلٌ من المرء أن يتشبث بغير الممكن ويجري وراء المستحيلات فان ذلك تضييع للحزم ، وتوجيه للعزم إلى غير وجهه . فينبغي

(١) الفقر (٢) الفشل وعدم النجاح (٣) الغنى (٤) مثل الجدة (٥) الدنس والمراد ما يناقض عزة النفس وشرفها

للعاقل الذي يحرص على أن يُذكر بالرَّجاحة ويُعرَف بالحزم أن يحكم أمرَ نفسه فيردّها عن الاسترسال في أمانيّها الباطلة ومطامعها الزائدة

(٢)

إذا صاحبتَ في أيام بؤس فلا تنسَ المودَّة في الرَّخاء
ومن يُعدمْ أخوه على غناهُ فما أدّى الحقيقةَ في الإخاء

(الشرح)

صديقك الذي عرفته في ايام شقائك ومحنتك ، وفقرك وحاجتك ، فدفع عنك بعض آلامك ، وهوّن من مصائبك جدير منك أن تحرص عليه إذا صرت الى اليسر والسعادة حتى تؤدّي له بعض مايجب عليك، وحتى تشركه [1] في نعيمك كما شاركك في بؤسك والا فانك قد خنت الصداقة وعققتَ المروءة إذا شقي وأنت في نعيم ،وافتقر وأنت في غنى

(٣)

إذا كان رُعْبي يُورِثُ الامنَ فَهْولى
ألذُّ من الامن الذي يُوجِبُ الرُّعْبا

(١) تشاركه

(الشرح)

أهلاً بتلك الحوادث التي تخوفني فأحذر ، وتنذرني فأتقى ، وتذكرني فأتعظ . وتفيدني التجربةَ والحزمَ فأسرّ بعد حزن ، وأضحك بعد بكاء . ولا أهلا بالنعيم الذي لاظل له ، واللذة التي تُعقِب الحسرة ، وتخلّف الندم

(٤)

إذا فعلَ الفتى ماعنه يَنهَى فمن جهتين لاجهةٍ أساءَ

(الشرح)

الواعظ يجب أن يكون اول العاملين بموعظته ، وإلا فقد أساء الى نفسه إساءتين أولاهما أنه عرف شراً فلم يتجنبه وأخراهما انه رضى لنفسه مالم يرضه للناس وذلك أهون لنفسه عليه

(٥)

وما الحَسَبُ المَوروثُ لادَرَّ درُّه
بمحتَسَبٍ إلا بآخرَ مُكتَسَبْ
إذا العود لم يثمر وإن كان شُعبةً
من المثمرات اعتدّه الناسُ فى الحطبْ

فليس يسود المرءُ إلا بنفسهِ
وإن عدّ آباءً كراماً ذوى حَسَبْ

(الشرح)

لاتعتمد على شرف آبائك فانما حازوه بأعمالهم واستحقوه بمجهودهم وليس بممدود فى مفاخرك حتي يكون الى جانبه شرف ترتقى اليه بهمتك وتعمل فيه بيدك . ألست ترى العود من الشجرة المثمرة إن قصّر عن طبيعة أصله وفقد مزية أُرومته [١] لم يكن لغير النار طعاما. فعلى نفسك فعوّل وليس للانسان إلاّ ماسعى

(٦)

وأسْوأُ أيّامِ الفتي يَومُ لايُرى
له حدٌ يُزْرِى [٢] عليه ويُنكرُ

(الشرح)

ليس شراً على المرء من ذلك اليوم الذى يركب فيه هواه فلا يجد له رادًا عن ضلاله ولا مُنَهْنِهًا [٣] من غُلَوائه [٤] فانه جدير إذ ذاك أن يتردّى فى مهاوى ضلالته و يذهب فريسة جهالته

(١) اصله (٢) يعيب (٣) كافا زاجرا (٤) طغيان

(٧)

واذا عَجَزْتَ عن العَدُوّ فداره
وامزَح له إن المِزاح وِفاقُ
فالنارُ بالماء الذى هو ضِدُّها
تُعطي النّضَاج وطَبعُها الأحراقُ

(الشرح)

إذا أعياك عدوك وظهر عليك بقوته فتغلب عليه بالمعروف يسهل لك صعبه وتلين قسوته ويذهب غضبُه . فان المعروف علاج الاباء [1] ونازع العداوة . ألست ترى الماء والنار وهما ضدان قد امكن أن تستفيد منهما بوضع الاناء بينهما فنحصل على انضاج الطعام

(٨)

إذا الامر أعيا اليومَ فانظر به غدا
لعلَّ عسيرا غدٍ يتيسَّر
ولا تُبدِ قولا من لسانك لم يرُض
مواقعَهُ من قبلِ ذاك التفكُّر

(١) الامتناع

ولا تَضرِ مَنْ حبلَ امرئٍ فى رضا امرىء
فيتصلا يوما وحبلكَ أبتر

(الشرح)

إذا حاولت أمرا نخاب فيه سعيُك فلا تستسلم لليأس فيعقل لسانك ويذهب بصوابك ، ويفُتّ فى عَضُدِك ، فأنما عظائم الامور صيد حِبالَته الصبر وشَرَكه الاناةُ فأوسع لنفسك مجال الامل يُضِئ لك صبح المشكلات وليكن منك على نفسك رقيب يناقشها الحساب . فلا تنطق بالقول حتى تمر به على ذهنك فتقدُر موقعه وتقرأ عاقبته فأنك إن لم تفعل دللت الناس على عيوبك فسجلوا عليك الحمق وعدوا لك الهفوات وربما راش [1] لك لسانك سهما فأرداك [2] ، أو حفر لك قبرا فوراك

ان للصداقة حقا يجب أن ترعاه فلا تجعلها سِلْعة تساوم فيها الاصدقاء ، تبذل منها بقدر ما تدِرّ [3] لك من النفع ، وتضن بها حين لا تؤمّل منها ربحا . فتخذُل الضعيف لتمالِىء القوىّ ، وتهجُر الفقير لتَرْتَع فى بُحبُوحة [4] الغنىّ . فأن تلك

---

(١) راش السهم وضع حوله ريشا لئلا يطيش به الهواء عن المرمي والغرض انه سهم صائب (٢) أهلكك (٣) تبذل
(٤) البحبوحة وسط المكان والمراد عز الغنى

خلة [١] لو عرفها الناس لزهدوا فى صداقتك فتأهل [٢] ربوع إخائهم وقد انفردتَ فى دار وَحشة ، ويَجتمع شَملُهم وقد رثّت [٣] حبالكَ منهم

(٩)

يَلومونني فى الدين قومي وإنما
دُيوني فى أشياء تكسبهم حمدا
أسُدّ به ما قد أخلوا وضيّعوا
ثغورَ حقوق ما طاقوا لها سَدّا
وإن الذي بيني وبين بنى أبى
وبين بني عمّى لمختلفٌ جدّا
فأن ضيّعوا غيبي حفظت غيوبهم
وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

(الشرح)

عجبت ومالى لاأعجب من قوم ضيّعوا الحزم فى عتبي وجَنحوا [٤] به عن محجّة [٥] الصواب بل فاتهم أنى أجِدُّ

(١) خصلة (٢) تعمر (٣) بليت والمراد انقطعت العلاقة بينك وبينهم
(٤) مالوا (٥) طريق

ليجدوا وأبي ليتفيئوا وأحترق ليستنيروا وأتحمل ثقل الدَّين دونهم لاقيم لهم ذخرا يجنون شرفه ويبقى لهم اسمه . اؤدى ماعجز عنه وكلهم [١] وأبغى لهم مارغبت فيه نفوسهم فتقصرعنه سعيهم. لقد يقضي [٢] اللبيب عجباً من الفرق بيني وبين هؤلاء إذ لا يلتقى هواى بهواهم ولا يوافق شكاهم شكلى . فاذا خانوا غيبتى و نهشوا عرضي كنت على غيبهم أمينا وعن أعراضهم ذائدا . وإن كفروا [٣] شكرت أو عابوا أثنيت

(١٠)

(موضوع)

الوفاء شيمة الاحرار

العناصر :

(١) احتياج الناس الى التعاون

(٢) أثر الوفاء فى نظام الاجتماع

(٣) استلزام الوفاء لكثير من الفضائل كالصدق والامانة والعزم

(٤) قلة المتصفين بهذه الصفة حتى قصرت على كل حر (كريم الشمائل)

---

(١) وكل كسلان عاجز (٢) يموت (٣) جحدوا النعمة

لست ترى إنساناً مهما عظمت مُنّته [١] يستطيع أن يَغْنَى عن مساعدة الناس له إلا إذا شاء أن يطارد الوحوش فى فلواتها وينازعها أقواتها . فأما والناس قد اتصلت بينهم أسباب معيشتهم فهم محتاجون الى الوفاء . يحتاجون الى أن يقول أحدهم فيفعل ، ويَعِدفينجز،ويعزم فيصمم ، ويتعهد فينوء [٢] بأعباءماتعهد به حتى لايدبّ الخلل الى أعمالهم ولا يتمشى الفتور فى عزائمهم ولا يَشين النقصُ مساعيَهم وحتى لايمر وقت العمل فيصبح ولا سبيل الى رجوعه ولا مَرَدَّ لفائته . يحتاج الناس الى الوفاء حتى يقوموا بكل عظيم تقصُر همة الفرد عن تناوله ولا تنفُذ فيه إرادته بل إن شئت فقل إنهم محتاجون اليه حتى يكونوا أمة يسد أبناؤها خَلَّتها [٣] ، وينهضون بحاجتها لم يَفُتَّ [٤] فى عضدهم التوانى ولم يطمئنوا الى العجز

لله ! ما أقسى قلب ذلك الذي قد اتصلت حاجات الناس به وارتمت آمالهم بساحته وهو يعلم انه إذا شاء أسعدهم واذا شاء أشقاهم. فيعدهم بكشف بلواهم وسماع نجواهم ثم يستحل الغدر بهم ويستمرئ [٥] مرعى الخلف لوعدهم فتشقى نفوسهم وتزهق أرواحهم

---

(١) قوته (٢) ينهض (٣) فقرها (٤) يضعف
(٥) يراه مريئا سائغا

الوفاء خلق كريم . ومن كرمه أنه لايكون حلية لامرىء حتى يجمع من الخير شتى خلال ، فيكون صادقا لا يكذب ، أمينا لايخون . يحمل بين جنبيه قلبا أبيض الصحيفة مُفعما بالحب للناس ، مغرما بمساعدتهم والأخذ بأيديهم . بل لايكون الوفيّ وفيا حتى يكون رابط الجأش [١] جرىء الجَنان ، يركب ظهور العوائق [٢] ويمهد وعر الطريق فى سبيل تحقيق وعوده والحرص على ما نَبَسَت [٣] به شفتاه وتحرك به لسانه . فهذا السموءل رضى أن يرى دم ابنه يسيل فى سبيل أن يقوم بحماية ما تعهد به حتى لا يرمى بالخُلف ولا ينسب إلى الغدر

صعب على كثير من الناس أن يدينوا بالوفاء لما فيه من مشقة تجزع منها النفوس إذا وَهَى عزمها وضعُفت إرادتها فلا يتمسك به إلا كل حُرٍّ ماضي العزم قؤول لما قال الكرام فعول . فيستحق أن يملك من القلوب أزمّتها ويرعى حباتها

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال

---

(١) النفس
(٢) المراد يتغلب على المصاعب
(٣) فاهت

(١١)

(موضوع)

قد يكون طول العمر من أسباب السعادة

العناصر :

(١) الراحة لاتكون الا بعد التعب

(٢) الهناءة المكسوبة لاتكون إلا فى أخريات العمر

(٣) حداثة السن وقت جد وتحصيل

(٤) أمثلة ممن بدءوا فى عمل وحال الأجل دون تمامه

(٥) أمثلة ممن مكنهم طول العمر من نجاح أعمالهم وكمالها

سعادة المرء جنى دَوْحَة [١] يغرسها بظهوره للدنيا والأمل ساقيها والزمن منضجها ولن ترى آكلا إلا بعد غرس ولا نائما نوما مُسَكِّنا يلذ به الا بعد نوم مُشَرَّد يبيت فيه رائد الوساد [٢] قد أقضّ [٣] عليه المضجع وكأن جفونه ثياب شُقِّقْنَ على ثاكل [٤]

---

(١) شجرة عظيمة (٢) أى باحثا عن وسادة ينام عليها وذلك كناية عن القلق (٣) امتلأ قضيضا أى حصا وهو كناية ايضا عن القلق (٤) أى لم تغمض فهى كالثياب التى مزقتها الحزينة من شدة حزنها فبقيت مشقوقة

ثمرة الحياة يحصل عليها المرء فى آخر ايامه حين يقعد به الشيب وبعد أن يلقى ربه فإما نعيم وسعادة وإما شقاء وتعس فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يرَه ومن يعمل مثقال ذرّة شرًّا يرَه ، فيكون رَيْع (١) العمر ومَيْعة الشباب وقتا تجمع فيه أسباب الراحة وذرائع السعادة

وليست السعادة قَعْبين (٢) من لبن وإنما هى البال الرخىّ والعيشة الراضية والذكر الحسن تحتاج الى مقدمات من نصب ناصب وشغل شاغل وأعمال كبيرة نافعة . وتلك تشغل الوقت الطويل والحم النبيل . وليس فى إمكان المرء وهو صغير أن يعمل العمل يُستطار به صيتُه ما بين المشرقين والمغربين . ولن يبلغ السداد إلا من جمع التؤدة والعَتاد . والرأى النضير ليس كالخمير . فطول مقام المرء يمكنه من جمع العزيمة واستتمام العُدّة

وشدَّ ما كانت المنية الخاطفة مانعة من نبوغ نابغ أو إتمام عمل نافع ، فقد سمعنا عن أناس مضوا وخلّفوا وراءهم أعمالا لم يُتمّوها وقد كان فى تمامها تمام السعادة وحسن المذكر . فبقيت صامتة عن التنويه بذكر مخترعها لأنها رسوم لا تُحير (٣) جوابا ، ولا تحسن

---

(١) أوله (٢) قدحين . والمراد ليست السعادة امراً هيناً
(٣) ترد

خطابا ولو بقى صاحبها لترجم عنها

أولئك الذين ملكوا فطبّقوا [١] الأرض بملكهم قد جمعوا هذا الملك الواسع بغزوة بعد غزوة وبلدة بعد بلدة ، ألم يكن الوقت أكبر مساعد لهم على هذه الغزوات واتساق ذلك الملك لهم . اللهم إلاّ أن يكون تراثاً [٢] لا بستوجب حمداً ولا شكورا

وهؤلاء العمال الذين نقطع العمر بقراءة مؤلفات أحدهم وربما انتهى بنا الدرس إلى العجز عن استقصائها ألسنا نجد الزمن ثانى العزيمة فى تخليد هذه الآثار لهم ؟

(١٢)

(موضوع)

أشد أعوانك الحاجة إليك

العناصر :

(١) قدر الرجل النافع فى قلوب أمته عظيم

(٢) أساليب النفع التى تجتذب قلوب الناس هى : الاحسان ـ الثروة ـ العلم ـ الاصلاح الخلقى ـ الخدمة النافعة

---

(١) ملئوا (٢) ميراثا

(٣) استفادته من حاجة الناس اليه (المحبة ـ الغنى كثرة الانصار)

(٤) يدوم تعلق الناس بالرجل ما دام نافعا

لعمرك ما الصمصامة [١] فى يد الشجاع ، ولا الجند تلتف بالملك المطاع . بأشد عوناً للمرء من أن يصبح وقد اتصلت أسباب الناس به وارتمت حاجاتهم ببابه ، وازدحمت آمالهم بساحته . كلٌّ يرجو أن يحُتّ [٢] اليه بما يكون شفيعا لديه ومُنْجِحاً لآماله عنده

يعلم المرء حاجة الناس اليه فيتخذها ذَرِيعة [٣] الى نيل ما يريد من ثروة يستفيدها ، أو صلاح يقوم به ، أو مذهب يحمل الناس عليه ، أو محبة يُنْعِم بها قلوب القوم حتى يلهيها عن كل حب سواه . وانه ليستطيع ذلك مادامت حاجة الناس اليه غير ناضب معينها

تشتد حاجة الناس الى الطبيب الماهر والمدرَه [٤] القادر فيكون لهما من حاجة الناس اليهما أكبر عون على الغنى والثروة فيصبحان وقد سالت ديارهما نُضَارا [٥] . ولقد نعلم أن من أغنياء أمريكا من كانوا لا يملكون شيئاً ثم وُفّقوا اختراع اشتدت حاجة الناس اليه فكان لهم من ورائه ثروة تَدْهش لسماع أعدادها .

---

(١) السيف القاطع (٢) يتقرب (٣) وسيلة (٤) المحامى
(٥) ذهب أو فضة

ينبغ النابغ فى الامة فيصف لها علاج أخلاقها ان كان فيلسوفا ويزيد فى مادة حضارتها ان كان مخترعا فيشعر الناس بشدة الحاجة اليه ويحرصون على حياته حتى لا تفجعهم فيه فاجعة ويكادون يمهدون له القلوب ليسير عليها فيجد ذلك النابغ فى حاجة الناس أكبر عون على اصلاح يريد القيام به

فى الناس كثير ممن يرون أن الباطل يفهم أكثر من الحق فيجعلون عليه مُعَوّلا كبيرا فى حياتهم ويسرهم أن يجوز تمويههم على كثير من الناس ولكنهم فى الحقيقة إنما يعتمدون فى ذلك على أوهى من بيوت العناكب (١) ويستمسكون منه بأضعف من حبال الهباء (٢). وليسوا فى ذلك الا كصاحب الجدار الواهى فانه مهما طلاه بانواع الاصباغ وصور فيه من بديع الصور لا يمنعه ذلك أن يسقط

أخلص أيها العامل فى عملك ، وأتقن أيها الصانع صناعتك ، وأتمم ايها الأجير ما أُجرت عليه ، وأحسن أيها الموظف القيام بما تقضى به وظيفتك ، ثم اتركوا جميعاً الرياء والتلفى الى الرؤساء فان لكم من حسن عملكم أكبر عون على ما تريدون من اتصال رزقكم والزيادة فيه

---

(١) جمع عنكبوت
(٢) الهباء الغبار

(١٣)

(موضوع)

أفاضلُ الناسِ أغراضٌ لذا الزمن
يخلو من الهم أخلاهم من الفطَنِ

العناصر :

(١) أنواع الفضلاء (الكبير الهمة — المجرب العاقل — العالم الحكيم)

(٢) آمال الفاضل كبيرة لعرفانه قدر نفسه

(٣) عدم تحقق كثير من هذه الآمال لبعدها

(٤) وقوع مصادفات يعطى فيها بعض الناس ما لا يستحقه

الفاضل هو من سَمَت به همته ، وارتقت فى مدارج الكمال فطنته ، وعرف لنفسه قيمتها ، وطلب لها سعادتها . فطوّح [١] بنفسه وراء العظائم يستنزل عُصْمها [٢] ، ويلين من شِماسها متفانيا فى سبيل تحقيق آماله ، راضيا بالموت فى طريق السعادة غير حافل بالهلاك يعرِض له فى قصده فيقضي على نفسه الكبيرة وآماله العظام الفاضل من حَلَب من الدهر أشْطُره [٣] ، وذاق حلوه

---

(١) رمى (٢) العصم جمع أعصم وهو الطائر يعتصم بأعالى الجبال
(٣) معنى الجملة انه ذاق حلو الدهر ومره

ومرّه ، وخرّجته التجربة وأحذقته [١] الحوادث . فنظر إلى الامور نظرة حكيم بسياستها طبّ بدائها . الفاضل من تهذبت نفسه بالعلوم ، وتحلّت بالآداب وظهرت على لسانه الحكمة ، وبانت في آرائه الهداية

كل أولئك فضلاء ولكن الدهر يهضمهم حقوقهم فينكّس أعلام آمالهم ويبدد جيوش عزائمهم ، يهدم صروح فضلهم ، يخفضهم ويرفع آخرين ، ويقتر [٢] عليهم ويضيق [٣] على الخاملين ، ويميت ذكرهم ويحيي ذكر الجاهلين . يقضي الفاضل حياته حنقا على الدهر لا يكاد تمر عليه ساعة من ساعات عمره إلا رأى فيها أمثلة من مناوأة الدهر له تقذى بها عينه ويضيق صدره ، ولا تزال الهموم تساوره ، وهموم الحياة يثقل بها كاهله ، حتى يقضي تحت هذه الأعباء وفي نفسه آمال لم تتحقق وفكر أبى الدهر أن تكون

هكذا يقضي الفاضل ببطشة الدهر القويّة وسلاحه المسموم فما بالك بذلك الذي يعرف قدر نفسه حين يقصى عن مكانه ويمنع ما تخوّله إياه مروءته ؟ ثم يرى ذلك المكان يعدّ لمن لا يعدّ من أقرانه . بل ما بالك به ؟ وقد قضى كثيرا من عمره وقضى على كثير من صحته في تحقيق أمنية من أمانيه فلم تحقق بعد ، ثم هو يراها تساق سوقا

(١) جعلته حاذقا ماهراً (٢) يضيق (٣) يكثر الخير

الى غافل عنها قانع بما دونها . أم بالك به ؛ وقد رأى الفقر يقعد به عن عظائم الأمور ويقصّر به عن حقوق ذوى الحقوق لديه ثم يرى الغنى يأتى عفواً لمن لا يعرف من الحقوق إلا حق هواه ولا يَقدُر من الحاجات إلا حاجة نفسه الخبيثة

لم يربح ذلك الفاضل من وراء فضله إلا الزفرات يصعّدها فى ليل همومه فتكاد تعيد فحمته جمرة متطايرة الشرر ، ولم يَجْن من وراء ذلك إلا الجناية على جسمه الذى أبلاه فى خدمة الهمة العالية التى عوّدها الدهر الاخفاق[1] والفشل وهى دائبة وراء غرضها

(١٤)

(موضوع)

وكلُّ امرئٍ يُولِى الجميلَ مُحَبَّبٌ
وكلُّ مكانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طيّبُ

العناصر :

(١) أنواع الجميل (دفع غائلة الفقر — تسكين آلام الحزين — إيواء العجزة — علاج المرضى — تعليم الفقراء)
(٢) قدر المحسن فى نفوس الناس (المحتاجين اليه وغير المحتاجين)

---

(١) عدم النجاح

(٣) النفوس مجبولة على حب من أحسن اليها

(٤) سبب حب المكان وجدان الحرية والرزق فيه

أحب المحسن وأجعل فِدًى [١] له نفسى وما ملكت يمينى ، لأن بين جنبيه تلك النزعة الشريفة التى يحس بها آلام الناس فيعمد إلى شئونهم [٢] فيسد طريق عارضها [٣] ، وإلى مثار أشجانهم فيجعله برداً وسلاما

ذلك هو أبو الفقراء وعائل البائسين [٤] لا يكاد يبين محزون حتى تملأ أنّته مسمعى ذلك المحسن فيكون إلى تسكين أنّته وترفيه [٥] علته أسرع من خَطْفة البرق وانقضاض الشهاب

ذلك شأن المحسن فى حين أن القوم غلاظ الأكباد [٦] تصم آذانهم من عويل الفقراء ويَرَون بأعينهم مصارعهم فلا ينبض فيهم عرق برحمة ولا يخطر عليهم خاطر عطف وحنان . ذلك سبيل المحسن لا يعرف لذة لطعام حتى يعلم أنه قد أشبع جائعا ولا ينتفع بيوم من أيامه حتى يكون قد لبى دعاء نفسه فى إقامة عاثر أو انتشال هاوٍ . كأنما وُكِّل بالناس يصلح لهم ما أفسده الدهر ويرد عليهم ما اغتال [٧] . رجل ذلك شأنه وَقَفَ بدنه وثروته على البائسين

---

(١) فداء (٢) مجارى دموعهم (٣) سيلها

(٤) القائم بشأنهم (٥) ازاحة (٦) ليس فيهم رحمة (٧) أخذ غدرا

وقسّم نفسه بينهم حقيق أن يَقِفوا أرواحهم له ويحرّموا قلوبهم على غيره وهيهات أن يبلغوا فى ذلك مكافأته على صنيعه والقيام بواجبه . يحبونه وتمتلئ قلوبهم باحترامه وتتولاهم هِزّة الفرح لذكره ولو أنهم استطاعوا فوق ذلك لفعلوا

المحسن محبوب عند عياله الفقراء ومن يصل إليهم معروفه محبوب عند غيرهم ممن يعظّمون الاحسان ويُكبرون طبيعة الكرم محسود من جماعة البخلاء لأنهم يريدون أن يحلوا محله من القلوب ويتربعوا فى مثل مكانه منها .

كل عمل تتجلى فيه صفة الحنان وتتمثّل فيه المحبة فهو احسان يكون صاحبه به قريبا من القلوب راعيا لحبّاتها [١] فالبشر وطلاقة المحيا وحسن الادب فى الخطاب والرعاية لفضل الفاضل ومقام العظيم كل ذلك إحسان لانه يدل على ان قلب صاحبه خلى من الحقد مأمون الدَّخيله [٢] . فتأنس النفوس إليه وتجتمع على الحب له . ولقد أعلم أنى ذُكرت أمام فلان بشرٍ فقام يدفع عن عرضى فأعتد ذلك نعمة لا تحل طَوْقها الايامُ ، ذلك لان طبيعة حبه تمثلت فى دفاعه عنى فذلك إحسان منه إلى .

---

(١) حبة القلب سواده ورعى حبات القلوب كناية عند التربع فيها وامتلاكها بالمحبة (٢) الدخيلة السرودا خل النفس والمراد انه مأمون الغدر

كما فُطِرَت النفوس على حب من أحسن اليها كذلك يحبّب إليها كل مكان تصان فيه ويُرعى لها نصيبها من الاحترام ، فى مثل هذا المقام يطيب للشريف اللبث ، وتحلو للعزيز الاقامة . فأما اذا لم يجد مكانا يَعِزّ فيه فأنه لا يزال شريداً فى البلاد حتى يجد مكاناً تهبط فيه نفسه فيقيم فيه لان الكريم لا ينزل إلا حيث تهبط نفسه ولا تهبط نفسه إلا حيث تجد لها مكرماً ولفضلها عارفا

لا بأس على الكريم أن يرحل عن الروض المحيل [١] والخير الجزيل اذا أصيب فى كرامته ونيل من شرفه فيفضّل سكنى الصحراء الجرداء ينعم فيها بوفرة عزه وكرامة نفسه ، ولا غضاضة [٢] عليه أن يترك المنصب الكبير تصبو إليه النفوس وتشرئبّ الاعناق اذا رأى إهانة لحقته فلم يقدر على دفعها إلا بالتخلي عن منصبه والجلاء عنه فيعيش موفور العزة تامّ الكرامة

(١٥)

(موضوع)

الاثر الصالح للقصص الخيالية (الروايات)

العناصر :

---

(١) الذى أتى عليه الحول وذلك اكثر لعشبه وأملأ للعين من جماله

(٢) كراهة أو مشقة

(١) القصص قوية التأثير

(٢) تصوير الفضيلة فى صورة حسنة فيرغب فيها القارئ

(٣) « الرذيلة « « قبيحة « عنها «

(٤) استفادة التجاريب بحوادث القصة

(٥) استفادة معلومات كثيرة تاريخية وعلمية

(٦) رقى خيال القارئ بما يراه من الوصف والحوادث والحيل

(٧) التسلي بالقراءة والخروج عن الحقيقة الى الخيال.

ينظر المرء فى قصة خيالية فما يكاد يأتى على بعض صفحاتها حتى يجد قلبه كأنما شُدَّت نياطه [١] إلى يراعة [٢] الكاتب فهو يضطرب باضطرابها وينزو [٣] بنزواتها، وسُرعان ما ترى نفسه بين يدى القاص يعبث بها فهو إن شاء أضحكها وإن شاء أبكاها. يُفسح لها مجالَ الامل حتى لتكادُ تتناول النجم وهى قاعدة، ويردّها إلى القناعة حتى لتزهد فى الهواء تتنسّمه ويغريها بالحميَّة حتى ليتطايرُ الشرار بين أحناء [٤] ضلوعها

ذلك مبلغ القصص من التأثير فهل ترى عظة أبلغ، أو حكمة أرشد، أو حجة أقوى، أو ذكرى أنفع، أو سلطاناً أقهر، أو

---

(١) جمع نوط وهو العرق من العروق المعلق بها القلب

(٢) قلم (٣) يتحرك (٤) جمع حنو وهو العظم المعوج

حاكما أنفذ حكما من قصة خيالية

اذا كان للقاصّ ما قد رأيت من التأثير فهل يكبُر عليه أن يجتثّ رذيلة لها فى قرارة النفس مراح ومغدى [١] ؟ . أم هل يفوت طَوقه أن يغرى نفسا بفضيلة ويحملها على خلق كريم ، كلا . إنه ليبغّض إليك الغدر ويريك من مصارع ذويه ما يرضيك كل الرضاء بالوفاء ويحبب اليك كلّ الحب مذهب المسالمة والإخلاص للناس .

واذا أراد أن يُشْرب قلبك الرأفة والرحمة انتقل بك من مجلسك على وثير [٢] فراشك أيام الشتاء وبين جداول حديقتك إبّان الصيف وأطلعك على حال قوم وقعوا فى أسر الفقر . فهم يلبسون أهداما [٣] ما يغيرونها إن جاء الشتاء فعُدّتهم له رِعْشة ما تزايلهم ، وإن اشتد القيظ صليت منه أجسادهم نارا حامية ، قوتهم ما يشتهون من حُثالات الموائد وما يتعرّقون [٤] من عظام يرميها أصحاب المطاعم بنجوة [٥] تقرأ كل هذا فتتقطّع نفسك حسرات عليهم ويشتد حنقك على الدهر الذى اساء اليهم ثم تأخذ على نفسك

---

(١) المراح مكان الرواح والمغدى مكان الغدو

(٢) لين (٣) جمع هدم وهو الثوب البالى (٤) يأكلون ما عليها من بقايا اللحم (٥) مكان مرتفع

ان تطعم جائعهم وتكسو عاريهم وربما قمت من فورك [١] تبحث عن فقير لتحسن اليه

ولست ترى مثل القصص كتابا يجمع الحكمة والفكاهة فى نظام ، ويصوغ لك الحقيقة فى قالب الخيال فتكون بذلك قريبة المتناول سهلة المأخذ تنسى القارىء عندها ما يعتاده من الضجر فى مزاولة الحقائق العلمية وما يحس به فى محاولة فهمها ، وربما انتهى من القصة فكان قد انتهى من الاحاطة بأخلاق أمة من الامم أو الوقوف على حدثة تاريخية

تمتاز القصص الخيالية بدقة الوصف فترى القاص يصور لك البؤس فى صورة تهفو [٢] من مخافتها القلوب وإذا حدثك عن قوم يتنعمون خيّل إليك أنك تسمع رنات أعوادهم وأصوات ضحكهم وأنك لاتعدو [٣] إذا خطوت خطوة أن تكون معهم

هذه هى شاكلة [٤] القصص فى التمثيل والوصف وهى طريقة مع فضلها فى التأثير وامتلاك الألباب تكسب القارىء دقة الملاحظة وإجادة الوصف لما يحاول وصفه

يقرأ المحزون تلك القصص حتى يجد من أمثلة الشقاء الذى ينتاب الناس وصنوف الآلام التي تصبّها عليهم الايام ما يهوّن

---

(١) وقتك (٢) تفزع (٣) تتجاوز (٤) طريقة

به على قلبه الواله وكبده الحرّى

وبحق يقرؤها المظلوم حتى يجد من خُتوف الظالمين مايطمعه فى الظفر بظالمه ويقوى فى نفسه عزيمة الصبر على ما يجد من غضاضة الظلم

كذلك يقرؤها كل من اراد أن يخرج بنفسه عن ألم الحقائق وضوضاء العالم إلى سكون الخيال ومسرة النفس

(١٦)

(وصف الصاحب السوء)

كان لى صاحب (وقاك الله شره) ، عرفته حين لم يكن لى من صداقته بدٌّ ، فاوسعنى ابتسامات خالية ، وتحيات كاذبة ، وشوقا لو تقاسم بعضه المحبون لتقرّحت منهم الجفون ، وتفيدت الشئون . من حر (واحرّاه) ، وعذاب (وافلباه) ، ولا نقطعت الانفاس ، وسكبتت الاجراس . من (ويلاه) ، و (أواه) بل لاحترقت الجنوب وذابت لفائف [1] القلوب من جمره المتقد ، وغليله الذى لا يبرُد

---

(١) جمع لفافة والمراد ذاب ما على القلب من شحم لكثرة الحزن

نجتمع فى الفَيْنة بعد الفَيْنة فيصف لى البعاد وشقاءه ، والاجتماع وهناءه ويشبه لى تلك الفترات بالليالى النابغية [١] ويقول إنه السليم [٢] بات قلقا ، والارمد اعتاد أولقا [٣]

ما زال هـذا شأنه حتى مكن لنفسه الصداقة فى قلب خَلىّ ، وضمير نقى ، ونفس خلقت للوداد ، كالصحيفة قبل عهدها بالمداد ، فاستفاد من شوكه الذى غرس حديقة فسيحة غناء ، يأوى الى ظلها إذا لفحه [٤] حر الإخوان ويشكو البثّ [٥] إلى نائح حمامها إذا أغضبه الزمان ، وان رفل من النعمة فى بُرْد ، تلقاه بالتهنئة منها باسم الورد ، وإن أعوزه من الناس مادح ، سبّح بحمده فوقها المغرد والصادح

سايرته ورأيت مصارع الإخوان من غدره فجعلت أُحسن الاعتذار عنه ، وأنّهم من يناصبه العدواة ، مرة بجفاء الطبع

---

(١) منسوبة للنابغة الشاعر لانه وصف الليل بالطول فبالغ كثيرا فنسب اليه كل ليل طويل

(٢) الملسوع وسمي سليما تفاؤلا بأن يسلم

(٣) شبه الجنون يعترى المصاب بالرمد

(٤) أحرقه (٥) الحزن

وأخرى بالغباوة وكنت (سامحنى الله) لا أسمع إلا منه اذ كان لايشكو إلا إلىّ ، وفيه لعمرى دلائل المكر وامارات السوء ، وهدوء اللؤم ، وسكينة الغدر . فلعينه تخويص [١] الحاسد ، ولشفته تلمّظ [٢] المتشفى ؛ ولجبهته تقبض المنتقم ، ولانفاسه صُعَداء الحاسد ، ولصوته لهجة الساخط ولوجهه شحوب [٣] المَغيظ . أرى كل ذلك ولكنّ عين الرضا كاذبة . فكنت أتخيّل هدوءَه وقاراً ، وسكينته انكساراً . وتقبض وجهه تفكيراً ، وتخويص عينيه تروياً وتدبيراً .

ما زلت أعرفه وأنا اجهله ، حتى مطرتنى نعمة من ربى أخصب بها جَدْبى ، وأمرَعَ جنابى ، واتسعت رحابي ، فقلت أسره بحديثها ، كما يسرنى بتقديم نعمه وحديثها [٤] ، فأتيته متهللا [٥] فقطّب ، ومسلما فما رحّب . ومتغنّيا فزمجر ، ومتطلقا [٦] فبُهت واصفرّ . وبدأت أحدثه ، فتزلزل به مجلسه . وقفقفت [٧] أسنانه ، وتلجلج وما انطلق لسانه . ثم اشفقت عليه فضاءلت امام عينه

---

(١) التخويص غض النظر مع التحديق وذلك لازمة الحاسد يريك أنه لاينظر وهو ينظر (٢) تحريك الشفتين فعل المتذوق للطعم (٣) تغير اللون (٤) حديثها الاولى بمعنى حكايتها والثانية ضد القديم (٥) مستبشرا ضاحك السن (٦) مثل متهللا (٧) اصطكت وتضاربت

عظيمها ، وانخفضتُ سمينها . وقلت إنما هى خُدعة من الايام تذهب كالأحلام توهب لنا ونحن فى غفلة عنها فاذا عقلناها فقدناها. أو لعلها علالة من النعيم يمتعنا الدهر بها حينا حتى نجد حرارة فقدها أحيانا . ولولا هذه التعاويذ [١] التي حصّنت بها نفسى ، لعانى [٢] فمهدنى من مجلسى رمسى . أو لتميز من غيظه وحسرته ، وفقد الحس من ساعته . ثم فارقته وقدعرفته وعرفت أن الحاسد أشقى الناس، يشقى بفقد السعادة وفقد المعزين عنها من الإخوان

(١٧)

(وصف)

حديقة فيها ساقية وغدير

دخلت روضة تَزْهو ببهائها كأنها الجنة بعينها ، بساط نضير كانه السندس والحرير . وزهرات كالنجوم اللوامع ، والاضواء السواطع . وغُدران تنساب وتتحدر ، وتتلوّى وتتكسّر . كانها الحياة . المذعورة [٣] ، أو صفائح من اللجين [٤] ملقاة ومنثورة . والازاهر يفوح عبيرها . من سُندس ونِسرين ، واقحُوان

---

(١) جمع تعويذة وهى ما يقرأ على الملسوع فيظن أنه يشفى وعلى الطفل فيقيه العين (٢) أصابنى بعينه (٣) الخائفة (٤) الفضة

وياسمين ، ونرجس يحكى بنظراته العيون ، وورد قد صال [١] بشوكه وسلاح ، كأنه الملك وقد شرعت [٢] حوله الرماح . وقد رضعت ثغور الاقاحى فى هذا الروض ثدى ساقية طالما ناحت كأنها الثاكل ، وبدت ضلوعها فى جسمها الناحل . من :

الشاكيات وما عرفن صبابة الباكيات بمدمع سحاح

فسرت فى الروض اتنقل بين أشجاره فتارة أدنو على استحياء من خد الورد فأكرر له القُبُلات ، وأخرى اعرّج على نرجس فأطارحه النظرات . وطوراً ألمس حريراً ، وآخر أشرب ماء نميراً [٣]

ثم جلست لاستريح تحت دَوْحة فمهّدت لى كَنَفا وطيئا وكأنها وصيفة [٤] قامت فوق رأسى بمظلة تصد بها عنى الشمس أنّى واجهتنى فتحجب هجيرها وتأذن للنسيم والشمس خلال ذلك تداعبنى فتلقى بين يدى دراهم ، فأظنها حقيقة وأنا واهم

وألقى الشرق منها فى ثيابى دنانيرا تَفِرُّ من البنان

ثم خرجت ولم أقض العجب [٥] من صنعة الخلاق ، وودّعت الروض على نية العودة والتلاق [٦]

---

(١) تقوى واستطال (٢) أمسكت وأعدت للقتال (٣) صافيا (٤) خادمة (٥) أفرغ منه (٦) الالتقاء

(١٨)

(وصف منزل)

وجويرية عجيبة الشكل والصغر رأيتها فيه

دخلت المنزل فوالله ثم الله ما بهرنى منه منظره الحسن الجليل ولا ظله المديد الظليل ، ولا طنافسه المفروشة ، ولا زرابيه المبثوثة ولا أبهاؤه [١] الرحيبة ، ولا حديقته الزاهية العجيبة . ولا عجبت من بشاشة سيده ، ولقائه الدال على كرم محتده [٢] . وابتساماته الخلابة ، وأحاديثه الجذابة . وهيبته المستولية على القلوب ، وطاعته التى انحنت عليها الجنوب . والله ما بهرنى هذا ولا عجبت من ذاك قَدْرَ ما أخذ بلبى ، وأثار كامن العجب من قلبى . منظر تلك الجويرية التى هى أعجوبة الزمان ، وسلوة الثكلان ، [٣] والمقيمة الحجة على الإنسان بأن أصله الحيوان . ولو أن « دارون » ظفر بها لاكتفى الهم من انكار معارضيه وجحود مخالفيه فقدمها لهم مثالا صادقا ، وشاهدا ناطقا

رأيتها فرأيت ظلمة تتدجى فى ضوء النهار وسواد انال من الشمس فغض من بهائها ، وكسر من شعاعها . فقلت : لعلها قطعة

---

(١) جمع بهو وهو الصالة (٢) أصله (٣) الحزين

من إزار الليل وطئتها قدم النهار القادم ، أو فل[١] من فلول الظلام اعتقله الصباح المهاجم . ثم قربت فى الخيال فقلت : أراها دُمْيَة[٢] من الا بنوس أو زجاجة من زجاجات الحبر السلطانى .

عجبت من الشمس كيف خارت قوتها فلم تبدد تلك الظلمة وهى التى أنارت القمر وأضاءت الكواكب

رأيتها فى بلج[٣] الصبح فعلمت شأنها فلهفى[٤] عليها بالليل هل تبصرونها أو تحسونها ، إنها لريشة من جناح الليل أو خافية[٥] من خوافيه . لا بل هى سواد عينه أو سويداء قلبه ؛ ولهفى عليها وقد اشتدت أَزْمَة (البترول) أن تحسبوها قطعة من الفحم الحجرى ، كفى كفى . . لقد أسأت إليها . إنها هى إلا الكحل[٦] الصادق تجمع من عيون الحسان ، أو الحَوَر[٧] الشديد انتهب من نواظر الحُور[٨] جعلها الله لكم متعة الدهور ، وجلبة السرور . إن شاء الله

---

(١) قطعة منهزمة من الجيش (٢) تمثال (٣) اشراق (٤) حزنى
(٥) الريشة تحت الجناح لا تظهر
(٦) سواد منابت الاهداب خلقة
(٧) شدة سواد العين
(٨) جمع حوراء وهى الجميلة — ذات الحور

(١٩)

(فضل الغناء)

عملتُ هذه القطعة لكتاب (المرجع فى الكشف المصرى)

***

ما مثل الغناء باعث للارتياح ، وحامل على السماح . ولا مثله شد العزم ، ودفع الهم ؛ فكم من كسلان سمعه فثار ؛ وخامل طرب به فنهض للفخار ، وعاصٍ استخفه فثاب الى ربه ؛ ومجرم هز قلبه فرجع عن ذنبه . وهاهى تلك الموسيقى ما وضعت فى مقدمة الجيش الا ليثبت من أجلها الجبان الوغد واع ، ويتفانى لوقعها الشجاع . فيقف وما فى الموت شك لواقف ؛ ويتقدم والنصل[1] من فؤاده راعف[2]

ذلك أثر الصوت الحسن والنغم الموقَّع فما بالك به اذا عبَّر عن معنى شريف ورتّله كرام بَرَرَه[3] ؛ بألسنة طاهرة . ؟ ألست ترى له جمالا فوق جماله ؛ وحالا غير حاله . ؟ لذلك نظمت الاناشيد بعد ما اختير لها المعنى المؤثر فى اللب ، المنعش للقلب . المذكر بمجد

---

(١) حديدة السيف أو الرمح أو السهم (٢) يقطر دما (٣) جمع بار وهو المطيع

الا باء وآثارهم ؛ المرتل لأعمالهم ومفاخرهم . لتكون درسا للطفل فى تاريخ أمته ؛ وسببا لاستمساكه بشرفه وكرامته . واحتاج اليها الكشافة لتكون هجّيراهم [1] فى حلهم ورحلتهم ؛ وظعنهم وإقامتهم ؛ وتعبهم وراحتهم .

(٢٠)

(ضرر الكذب بالفرد والامة)

العناصر :

(١) الكذب يستلزم كثيرا من النقائص

(٢) أثره فى المعاملة

(٣) أثره فى الاسرة

(٤) أثره فى العلم

الكذب (وقاك الله) خلق ذميم يبتلى به المرء فيعرى عن كل فضيلة ، ويتدنس بكل رذيلة ، وحسب الكذوب من البلية أن يكون كذبه نتيجة لجبن تأصل فى نفسه فهو يرتكب الكذب ليدفع عن نفسه شرا توهم أنه يقع فيه ، وانه ليعتاد الكذب حتى يرتكبه فى أهون الاشياء وأقلها خطرا . وحسبه من كذبه أن

---

(١) الهجيرى الدأب والشأن واللازمة

يكون مخلفا اذا وعد ، نماما واشيا اذا صاحب . تلك هى الصفات اللازمة للكاذب ، تنفر الناس منه ، وتكون سببا فى ازدرائه ، والبعد عنه

نعوذ بالله من قوم جرّهم الكذب الى الخيانة فادّعوا لانفسهم ما كانوا عليه أمناء واستحلوا ما ليس لهم من مال غيرهم

الكذب جُمّاع لرذائل كثيرة فبحق يحتقر الناس الكاذب ، وينبذونه من بينهم نبذ النواة

اذا كان الكاذب واحداً فى البلدة أو نفرا قليلا فى الأمة فأن ذلك شرٌّ هينٌ ومصيبة محتملة مع ثِقَلها . فأما أن يكون هذا الخلق فاشيا فى الامة فأن ذلك خطر محدق بها ، وداء عَيَاءٌ يتمشى فى جسمها ، بل هوة سحيقة تتردى فيها

كيف ترجو لتجارة هذه الامة رواجا ؟ وتاجرها يكذب على الناس فيعطيهم البالى باسم الجديد ، والردىء باسم الجيد . أم كيف ترجو لما ربها قضاء ؟ والثقة بين الناس منفصمة العُرى ، واهية العلاقة . أم كيف ترجو للحق فيها ظهورا ، والناس لا جانى يعترف بجنايته ، ولا شاهد يؤدى ما رأى . أم كيف ترجو للعلم فيها صوابا ، وقد كذب فيه الأواخر على الاوائل ، وحشوه بُترّهاتهم وأباطيلهم ، فضيعوا معالمه وشوهوا وجهه

وإذا اردت أن تتصور مصير أمة تورّط افرادها فى هـذا الخلق الذميم فتصور والدا يكذب على ولده ومعلماً يكذب على تلاميذه. بل تصور افراد الامة وقد أصبح كلهم ضعيف الثقة بأخيه قليل الاهتمام لما يلقى عليه . هل ترى عظة تنفع ، او رسالة تبلغ ، أو خبرا يصدق ، أو علما يحقق ، أو شكا ينتفى ، أو واعدا يفى

هـذا إلى أن الصدق يضيع بين هـذه الامة فيصير حلـيا معطّلا ويصبح الصادق بين هؤلاء الكاذبين كاليتيم على مائدة اللئام ذليلا مهتضما

(٢١)

(فضل جماعة الأسعاف)

العناصر :

(١) كثرة الاخطار بالمدن

(٢) وجوب الاسعاف فى كثير من حالات الاصابة

(٣) جهل العامة بطرق الاسعاف

***

لانرى بين ظهرانينا أثرا أدل على رحمة الانسان للانسان من تلك الجماعة التى عرف رجالها موضع الحاجة فسدوه ،

ومكان الداء فعالجوه . رأوا المدن المائجة بالناس كالقاهرة مثلا تغدو فيها السيارات . وتروح مراكب الكهرباء . وبين ذلك تقع الاقدار ويصاب كثير من السابلة بصدمات هذه السيارات . فكانت الحاجة ماسة الى اسعاف هؤلاء بتضميد جراحهم ونقلهم الى المستشفيات ولقد نهض رجال الاسعاف بعبء ذلك العمل وقاموا به خير قيام

تحدث الحادثة فما نلبث أن نرى رجلا من رجال الاسعاف قد أقبل ينهب الارض بدراجته ؛ وسرعان ما يقوم بتضميد المصاب ثم يمهده ذلك المهاد الوطىء الذى لا يحس فيه بألم ولا تزعجه حركة ثم يسير به الى المستشفى

وان تعجب فعجب ما يأتيه رجال هذه الجماعة من النشاط الذى يصورهم فى عين الرائى كأنهم ملائكة الرحمة يراقبون الحوادث حتى اذا وقعت حادثة كانوا بجانبها يحتفون ويلاتها ويهونون ألمها

نشعر بمسيس الحاجة الى تلك الجماعة لجهل كثير منا بقوانين الصحة . ولقد كنا نرى بعض الناس يصاب بجرح فيجعل الدم يقطر منه وليس أحد ممن يرى هذا المنظر يواجد سبيلا الى حبس ذلك الدم ؛ وان وجدوا فانما يجدون حفنات التراب يملئون بها ثغرة جرحه فيكون ذلك العلاج مصيبة أخرى

لله درك أيتها الجمعية ! ما أبر عملك وما انفعه ! فكم جريح حقنت

دمه ؛ ومَغشِيّ عليه انمشتـه من غشيته . بل كم خطر تلافيته ، وروح ابقيت عليها ، ولم يبق منها إلا الأسماء . حيا الله رجالك فانهم اهل تكرمة واجلال

(٢٢)

(تـكريم النابغين)

العناصر :

(١) الاعتراف بنبوغ النابغ
(٢) اذاعة شهرته بين الناس
(٣) بيان عظيم فضله
(٤) شرح اسباب نبوغه
(٥) بعث الامل فى نفوس النشء

النابغ فى الامة هو فذّ من افذاذها ، ومصباح من مصابيح هداها . بل دعامة من دعائم مدنيتها وعَلَم لرقيها . هو واحد منها فأدى بنفسه وماله وراحته فى سبيل خيرها فأقبل على الكتب يستثير دفائنها ان كان عالماً وعلى الصناعة يستطلع اسرارها ان كان صانعاً . وعلى ذهنه يكدّه فى إعمال الحيلة ان كان سياسياً . حتى يوطد لامته بين هذه الجموع المتطاحنة مكاناً أو يمهد لها سبيلا . ذلك هو النابغ استراح الناس وتعب . وناموا وسهر . وبخلوا بصحتهم وجاد .

أليس حقيقاً أن يذاع فضله ، وينشر خبره ، ويدل على منزلته ، ويعترف بحسن أثره ؟ حتى يكون فى ذلك بعض الجزاء له على ما أولى قومه من نفع وأسدى اليهم من معروف

ان هؤلاء النابغين قوم كرام النفوس ، كبار الهمم . وربما كان رجاؤهم من وراء جدهم أن يذكروا بالصالحات ، ويخلد اسمهم بعد الممات . فواجبنا ألا نحرمهم حقهم ولا نبخل عليهم بثوابهم حتى لا يذهب جُحودنا بنشاطهم أو يقضى تغافلنا على همهم . وإن فى الشكر لتثبيتاً للعزم واثارة للهمة وحملا على التفانى فى الجهاد

يجب أن نقيم الحفلات لبيان فضلهم وشرح جليل اعمالهم وما لاقوا من مشقة ، وصادفوا من عقبة ، وان نُطْرِى فيهم الصبر الذى قاوموا به اليأس ، والشجاعة التى عالجوا بها الصعاب ، والامل الذى ينير ظلمة طريقهم ، والذكاء الذى حلوا به المعضلات . يجب ان نشرح هذه الاسرار تدليلا على فضلهم ، وبياناً لجهادهم ، وليكون ذلك درساً للنشء . ونموذجاً للمقتدى . وذكرى للمعتبر . وتحريكا للامل فى نفوس الأجيال المقبلة حتى يعلموا على شاكلتهم ويهتدوا بهديهم

(٢٣)

البحيرة

ترجمة قصيدة لامارتين

بحر الحياة معتلج الموجات . متراكب الظلمات . نأى المرامى مشكل المقاصد . قد خلقه الله بلا ساحل فما ءِجت سفينة فيه على مرسى ولا هُوّذ عليها بسويعة تتنفس فيها الراحة وتستنشئ نسيمها

ايتها البحيرة . فى مثل هذا اليوم من أعام الفائت . وفى هذا المكان على هذا الحجر من شاطئك غفلت عن الحوادث عنا . وخيّرتنا الامانى فاخترنا . وجلست الى جنب حبيبتى أتوسم فى محياها الرضا واقرأ فى معارفها[1] البشر سعيدين لاهَمّ ولا حزن

واليوم اجلس وحدى وقد اسلمنى الدهر للأسى . وخلفتنى الوَحْدة للهمّ . وما كان اهدى الدهر لارضائنا لو أنه للخير مخلوق

ايتها البحيرة . أنت اليوم مثلك بالامس طبيعة واحدة ومنظر متشابه . فمياه زائرة عاوية . مقتتلة نشاطا ثم متهالكة متفانية . وصخور مضرّسة كاثرة عن انيابها جاسية الملمس مشمئة التكوين .

---

(١) تقاسيم وجهها

ونسيم يتراوح على سطحك فهو تارة قين يسرّد من صفحتك درعا وطورا لا ل ينظم من حباب الماء عقودا . ولم تفقدى أيتها البحيرة من جمالك إلا شيئاً واحداً (هو كل شيء) ذلك شخص الحبيبة وقد جلست على الشاطى . فمدت قدمين كانما هما لسانان جعل الماء يداعبهما فيلقى بحبابه عليهما

أيتها البحيرة هل تذكرين ليلة ركبنا الزورق (وما تجدى الذكرى إلا تأريثاً [1] لنار اللوعة) هل تذكرين وقد صمتت الطبيعة صمتا هو باسم البكم أولى فما للريح هزيزها . ولا للمياه آذيها ولا لليل نبأة ولا ركز حتى كاد السكون يكون عدما لولا مجاذيف الزورق التى كانت توقع على الماء نغمة موسيقية قد ضمن حسن تنسيقها تناوب المجاذيف دواليك فى فترات متناسبة . هل تذكرين إذ تمشى فى أحشاء ذلك السكوت صوت الحبيبة الذى ملأ الطبيعة فأصغت المياه والتفت الدهر . وكان ذلك الدر المنثور من فمها قولها:

(أيها الوقت اما لطيرانك وقوع . وأنت أيتها الساعة أليس لحركتك من سكون . فيطول وقوفنا فى ظلك لنقارف السعادة فى طمأنينة ودعة . ونتذوق طعم الراحة المتاحة . كلا إن فى الناس بؤساً [2] يعدون نجوم ليلهم فزفى [3] زفيفاً بل انحدرى سيلا

---

(١) اشعالا (٢) جمع بائس (٣) اسرعى

لتقشعى عنهم غياهب كربتهم وتنفسى ضيقهم واتركى (الى حين) تلك الحفاوة بالمجدودين ذوى الحظوظ الناهضة فان من هؤلاء من الفوا النعيم حتى ملوه . وشربوه صرفاً وممزوجا حتى عافوه . ليت (وهل ينفع شيئاً ليت) ليت أويقات السرور مرخاة الحبل فيسر محزون ويسعد شقى . ولكن هو الدهر قد شيب بالكدر صفوه وعيب بالمن احسانه ووصم بالبخل جوده

ليلتنا الهنيئة . هل لك ان تترفقى فى سيرك ولا تروعينا بأشيب الفجر الذى يشيب ناصية آمالنا . ويقوض صروح انسنا . ولكن لنقنع بتلك الساعات التى تجفل بين ايدينا ولنغتنم فرص اللذات السانحة

نحن من الوقت فى بحر ملتطم شديد الأتى قد ركبنا ثبجه ، وعلونا موجه ، فهو يدفعنا فى تياره ، ويشتد بنا عسف جباره . فنبذل له المقادة . ونسلب معه الارادة

أيها الوقت الحاقد : قد قضيت فاشكيت وقسمت فأحفيت اكان فى العدل ان يدق شخص السعادة . حتى يصبح كظل الحصاة وان يطول مارد الشقاء حتى يصير كظل الرمح ثم لا توهب ساعات السعادة ونشوة الحب بركة ولا ريثا يعزيان الشقى المكدود عن حنآ لتها وقلتها

ياعجباً للزمن . الا يتاح لنا أن يمر بنا خيال السعادة الماضية

وان تكتحل أعيننا بصورة منه فانا فقدناه وطال علينا الامد بعده

أيها الدهر أنك قد حبوت ثم صلدت [١] ومنحت ثم منعت .

فهل لك ترجع الى طبيعة كرمك وتعيد فينا سيرتك الاولى .

أيتها الدنيا الواهبة السالبة . القادرة العاجزة . القوية الضعيفة قد رنقت مورد السعادة وطبعت على الناس ميسم الشقاء حتى أصبحت الايام مذمومة لأترك فيها ، مجفوة لمكانك منها . كيف جرؤت على استلاب حبيبتي لولا قساوة طبعك وطبيعة ظلمك ثم أنت بعد ذلك لا تخفلين بآلام الحسرة التي تقطع أحشائي وعبرات الذكرى التي تُنفد شؤوني .

أيتها البحيرة : لقد بقيت على الدهر اثراً خالداً للجمال ومثالا قائماً للابداع . فالدهر لايدخرك للمنافسة ولا يستبقيك لساعات المباهاة فحسب . بل لانك معجزة الحسن الباهرة وحجته القاهرة

***

أيتها الشواطىء . المشرفة والاشجار الحوّاء ذات الظلال الوارفة . والنسيم السارى على هينته . والكوكب الوضاء الباعث الى الماء فضى أشعته . والهواء الصافر . والريح العاطر . والطبيعة ساكن منها وثائر . أشهدكم وأشهد الله معكم اننا حبيبان .

---

(١) بخلت

(٢٤)

خطبة

وداع واستقبال

(قلناها فى حفلة أقيمت لوداع موظف كبير يمتاز بالكهولة والتقوى ، واستقبال البديل منه وكان شاباً نشيطاً مخلصاً . وقد قصدنا أن نقسم كلامنا فنجعل جملة للراحل وأخرى للقادم حتى نستطيع العدل بينهما فى القول لا نا رأينا الخطباء قبلنا يذكرون أحدهما فيطيلون حتى كأن الآخر غير محتفل به ، ثم يستأنفون القول فى الثاني حتى كأن الأول قد أهمل . فابتكرنا هذه الطريقة وقد قوبلت ساعتذاك بالاستحسان)

***

أيها السادة الاوفياء

إنى أقف اليوم بينكم موقفين ، موقف المودع الآسف . والمستقبل المستبشر ، نودع الكهولة الراجحة . ونتلقى الشباب الناهض ، نشيع حُنكة التجربة وتوفيق الطاعة . ونرحب بعزمة الشباب وهداية الاخلاص ، نتبع نظرنا ماضياً محسود الذكرى ونمد أعناقنا الى مستقبل سديد الخطوات ، نحتفظ بهجرة مباركة وننتظر بعدها فتحاً مبيناً فنحن من عهدنا فى نصرين متتابعين

سابق مسجل ، وآت معجل

وما نرجو من راحلنا الكريم إلا أن يتذكر أبناء له برره يحنون ضلوعهم على طاعة واجبة ، ويلهجون بذكرى حميدة

اذكرونا ذكرنا عهدكمو رب ذكرى قربت من نزحا

ثم نرجو الله أن يوفق قادمنا لحياة سعيدة تكون كفاء إخلاصه . وحسن طويته

لى فيك حين بدا سناك وأشرقا أمل رجوت الله أن يتحققا

(أكتب فى الموضوعات الآتية بعد تفهم عناصرها)

(٢٥)

(فوائد احصاء السكان)

العناصر :

(١) معرفة الحالة العلمية للامة

(٢) « « الصحية وأنواع العاهات المنتشرة بين الناس

(٣) « الرغبة في الحرف والصنائع

(٤) « مقدار العاطلين وأسباب عطلهم

(٥) « نسبة الثروة لتجعل الضرائب مناسبة لحالة الامة

(٦) « نسبة السكان الى المساكن

(٧) « « الزواج

(٨) « « الاجانب الى الاهالى

(٢٦)

(أثر النقابات الزراعية فى اصلاح حال الفلاح)

العناصر :

(١) احتياج الفلاح الى الاقتراض
(٢) اقراضه بفوائد معتدلة
(٣) تنجيته من التاجر الذى يسلبه محصوله
(٤) شراء مواد الزراعة رخيصة ومن نوع جيد
(٥) نشر روح التضامن بين أهل كل قرية أو بلدة

(٢٧)

(الجرائم وسببها وعلاجها)

العناصر :

(١) الاسباب : الفقر ــ سوء التربية ــ الجهل ــ الخلو من الاعمال ــ اهمال الحكومة الامن
(٢) العلاج : نشر العلم ــ تشغيل العاطلين ــ نشر الشرطة السرية الجنائية ــ تشتيت شمل العصابات ــ الوعظ الديني ــ بث الخطوط الحديدية ــ حسن اختيار رجال الامن

(٢٨)

(مصير الترف الى الدمار)

العناصر :

(١) ضياع الثروة
(٢) فساد الاخلاق
(٣) ضعف الجسم
(٤) الوقوع فى أثر عادات تنافى الجد والنشاط
(٥) فقد روح الشجاعة والشهامة
(٦) زوال روابط الاتحاد لغلبة الأثرة وحب النفس

(٢٩)

وما الحسن فى وجه الفتى شرفا له اذا لم يكن فى فعله والخلائق

العناصر :

(١) ميزة الرجل اخلاقه وأعماله
(٢) لا ينبغي أن يكون للجمال أو الشرف القديم أثر في تعظيم الرجل
(٣) مطالب الحياة توجب على الرجل الجد
(٤) الحسن اذا استتر تحته سوء الخلق فهو أشنع القبح

(٣٠)

(البيت مملكة تدبرها المرأة)

العناصر :

(١) الواجب للمرأة : ا تعليمها العلوم (الدين ــ الحساب ــ الخط ــ الانشاء ــ تقويم البلدان ــ التاريخ ــ الصحة)

ب تعليمها تدبير المنزل (الطهى ــ الغسل ــ الكى ــ التنظيف ــ الخياطة ــ التطريز ــ الاسعاف ــ تربية الطفل)

(٢) الواجب عليها : ا تربية أولادها (علما ـ خلقا ـ جثمانا)

ب القيام بشئون المنزل

ج سياسة الخدم ومراقبتهن ان كانت من ذوات اليسار

د توفير السرور لاولادها ولابيهم حتى يعود البيت جنتهم التى يجدون نعيمهم فيها

(٣١)

(الهجرة والى أين تكون . وماذا تفيد ؟)

العناصر :

(١) البلاد التى تصلح للهجرة (القليلة السكان — البعيدة من المدنية — الكثيرة الخيرات)

(٢) الافراد الذين يليقون للهجرة (الاقوياء — طلاب الاستفادة من الطبيعة (كالزارع والمعدنين) — أصحاب الاخلاق القويمة كالشجاعة والصبر على فراق الاهل

(٣) منافع الهجرة ا يعود على الوطن . تخفيف كثافة سكانه — احياء بلاد جديدة — فتح موارد ومصادر للتجارة

ب يعود على المهاجر : تكوين الاخلاق مثل الاعتماد على النفس والشجاعة والاقدام — الغنى السريع

(٣٢)

(موازنة بين سكنى المدن والقرى)

العناصر :

﴿ فضل المدن ﴾

(١) الحركة التجارية والادارية أعم

(٢) سهولة الوصول

(٣) مظاهر الجد والنشاط

(٤) تعدد المناظر وذلك مزيل للسأم

(٥) وجود التمثيل والملاهى الشريفة وفى ذلك راحة للجسم والفكر بعد كد العمل

﴿ فضل القرى ﴾

(١) جودة الهواء

(٢) حرية المعيشة

(٣) الهدوء والسكينة

(٤) كثرة المناظر الطبيعية

(٥) رخص أسباب المعيشة

ويمكن الجمع بين مزايا المدينة والقرية بتسهيل الوصول بينهما فنعمل فى المدينة ونسكن فى القرية

(المختار)

نأتى فى هذا الباب على فصول نجد بالمتأدب حاجة اليها ماسة وهى كما يلى :

(الفصل الأول)

سمر العرب

نقلت فيه مماوقع فى كتب الأدب من أحاديث وأقوال تجلو البديهة وتشحذ الخاطر ، وتخبر عن عادات ، وتدل على أخلاق . فى لفظ أنيق ، وسياق منسجم . فيقع المطلع منها على غذاء العقل ، وحاجة اللسان

(عمر بن الخطاب فى الشام)

لما قدم عمر بن الخطاب الشام قدم على حمار ومعه عبدالرحمن ابن عوف فتلقاهما معاوية فى موكب ثقيل فلما قرب منه نزل اليه فأعرض عنه فجعل يمشى الى جنبه راجلا فقال له عبد الرحمن أتعبت الرجل فأقبل عليه عمر فقال . يامعاوية أنت صاحب الموكب مع مابلغنى من وقوف ذوى الحاجات ببابك . قال : نعم ياأمير المؤمنين . قال : ولمَ ذلك ؟ قال لأنا فى بلد لا نمتنع فيه من

جواسيس العدو ولا بد لهم مما يُرهبهم من هيبة السلطان فان أمرتنى بذلك قمت عليه وإن نهيتنى عنه انتهيت . فقال : ان كان الذى تقول حقا إنه رأيُ أريب [١] وإن كان باطلا فانه خُدعة أديب وما آمرك به ولا أنهاك عنه . فقال ابن عوف : لحَسَنٌ ماصدر [٢] هذا الفتى عما أوردتَه [٣] فقال عمر : لحسنِ موارده جشَّمناه [٤] ماجشَّمناه

(استخلاف يزيد بن معاوية)

شاور معاوية الاحنف بن قيس فى استخلاف يزيد ابنه فسكت عنه . فقال له : ما لك لاتقول . فقال : إن صدقناك أسخطناك ، وإن كذبناك أسخطنا الله فسخط أمير المؤمنين أهون علينا من سخط الله

(أبو قلابة والقضاء)

طُلب أبو قِلابَة للقضاء فهرب الى الشام فأقام حينا ثم رجع فقيل له لو وليتَ القضاء وعدلت كان لك أجران . فقال : اذا إذا وقع السابح فى البحر فكم عسى أن يسبح ؟

---

(١) قوى الحيلة (١) رجع (٣) اقدمته عليه ويقال فلان يحسن الورد والصدر أى البدء فى الشىء والانتهاء منه (٤) كلفناه

(خطبة زياد)

قال زياد لما قدم العراق والياً عليها : أيها الناس انه قد كان بينى وبينكم إحن [١] فقد جعلت ذلك دَبر [٢] أذنى وتحت قدمى فمن كان محسنا فليزد فى إحسانه ومن كان مسيئا فلينزع عن إساءته . إنى لو علمت أن احدكم قد قتله السُّل من بغضى لم اكشف له قناعا ولم اهتك [٣] له ستراً حتى يبدى لى صفحته [٤]

(الرغبة عن القضاء)

كتب عمر بن عبد العزيز الى عَدىّ بن أرْطَأة ان اجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجُرَشىّ فولّ القضاء انفذهما فجمع بينهما . فقال له إياس : ايها الرجل سل عنى وعن القاسم فقيهى البصرة الحسن وابن سيرين وكان القاسم يختلف إليهما وإياس لايجالسهما فعلم القاسم انه إن سألهما اشارا به . فقال : لا تسأل عنى ولا عنه فوالله الذى لاإله إلا هو إن إياسا افقه منى واعلم بالقضاء فان كنتُ كاذبا فما ينبغى ان تولّينى ، وإن كنت صادقا فينبغى لك ان تقبل قولى . فقال إياس : إنك جئت برجل واوقفته على شفير [٥] جهنم فنجّى نفسه بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف .

---

(١) ضغائن (٢) وراء (٣) اكشف (٤) وجهه (٥) حافة

فقال له عَدِى : اما إذ فهمتَها فأنت لها فاستقضاه

(الآراء فى عمر بن الخطاب)

كانت عائشة رضى الله عنها اذا ذكر عمر بن الخطاب تقول : كان والله أخوذِيًّا (١) نَسِيجَ وحدِه (٢) قد أعد للأمور أقرانها . وقال المغيرة بن شُعبة : مارأيت أحداً هو أحزم من عمر ، كان والله له عقل يمنعه أن يُخدَع

وقال عمر عن نفسه : لست بخَبّ والخَبُّ لايخدعنى

(عمر والمال)

مر عمر ببُنيان يبنى بآجُرّ وجِصّ فقال لمن هذا فقيل لعاملك على البحرين فقال : ابت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها وأرسل اليه فشاطره ماله

ودعا عمر الحرث بن وهب فقال له : ما قلاَصٌ (٣) بعتها بمائتى دينار . قال خرجت بنفقة فتجرت فيها . فقال أما والله ما بعثناكم لتتجروا فى الاموال المسلمين . أدّها . فقال أما والله لاعملت لك عملا بعدها . فقال عمر انتظر حتى استعملك ! (٤)

---

(١) نشيط متصرف بالامور (٢) ليس له نظير (٣) جمع قلائص وهى جمع قلوص وهى الناقة الطويلة القوائم (٤) هذا القول من عمر تهكم به أى انى لا أوليك بعدها أبداً

(وصية لقائد)

أوصى عبد الملك بن مَروان أميرا سيّره الى أرض الروم فقال : أنت تاجر الله بعباده فكن كالمضارب الكيّس الذى إن وجد ربحا اتّجر وإلا تحفظ برأس المال . ولا تطلب الغنيمة حتى تُحرز السلامة ، وكن من احتيالك على عدوك أشد حذراً من احتيال عدوك عليك

(الوفاء حتى الوفاة)

قال مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتب حين أيقن بزوال ملكه : قد احتجت الى أن تصير مع عدوى وتظهر الغدر بى فان اعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك يدعوهم الى حسن الظن بك . فان استطعت أن تنفعنى فى حياتى والا لم تعجز عن نفع حريمى بعد مماتى . فقال عبد الحميد : ان الذى أمرت به انفع الاشياء لك واقبحها بى وما عندى غير الصبر معك حتى يفتح الله عليك أو اقتل واياك

(حيرة الغادر)

لما قتل عبدُ الملك بن مَروان عمرو بن سعيد بعد ماصالحه

وكتب له كتابا وأشهد شهودا قال عبد الملك لرجل كان يستشيره ويصدر (١) عن رأيه اذا ضاق به الامر : ما رأيك فى الذى كان منى ؟ قال : أمر قد فات درکه (٢) قال : لتقولنّ . قال حزم لو قتلته وحييت . قال أولستُ بحي ؟ ! قال من أوقف نفسه موقفا لا يوثق له بعهد ولا بعقد فليس بآمن . قال عبد الملك : كلام لو سبق سماعه فعلى لامسكت

(حكمة اعرابى)

قال اعرابى : الله مُخلف ما أتلف الناس والدهر متلف ماجمعوا وكم من منية علّتها طلب الحياة وحياة سببها التعرض للموت

(حسن العزاء)

قال عبد الله بن الزُّبير لما بلغه قتل مُصعَب اخيه : ان يقتل فقد قتل ابوه واخوه وعمه ، وإنا والله لانموت حَتْفا (٣) ولكن طعناً بأطراف الرماح وموتاً تحت ظلال السيوف . وإن يقتل المصعب فان فى آل الزبير خَلَفاً منه

(الذعر في الحرب)

قال هشام بن عبد الملك لاخيه مسلمة : الم يدخلك ذُعْر (٤)

---

(١) يرجع (٢) لحاقه (٣) من غير قتل (٤) خوف

لحرب او عدو ؟ فقال : ما سلمت من ذعر نبّه على حيلة ، ولم يَغْشَنى ذعر سلبنى رأيى . قال هشام هذه والله البسالة

(الحجاج والمهلب)

كتب الحجاج الى المُهَلَّب يستعجله فى حرب الازارقة فكتب اليه : إن من البلية ان يكون الرأي بيد من يملكه دون من يبصره

(أسرى معن)

أُتى مَعْن بن زائدة بأسير فى جملة الاسرى فأمر بقتلهم فقال له أتقتل الاسرى عطاشا : فأمر بهم فسقوا فلما شربوا قال اتقتل اضيافك فعفا عنهم

(أدق المسالك)

قال رجل لعمرو بن مَسْعدة وزير المعتصم : إن اخا من إخوانك واجب الحق عليك معتنياً بأمورك لا يغفُلُ عنها فى صغير ولا كبير ، يكاتبك فى كل محبوب ومكروه وانت له على مثل ذلك . . تزوجت امه فكيف تكتب اليه التعزيه ام تهنيه فلم يستطع عمرو ان يقول شيئا . فقال الرجل قل له :

اما بعد فان الامور تجرى على غير محاب المخلوقين . والله يختار لعباده ، فخار [١] الله لك فى قبضها فان القبور اكرم الاكفاء [٢] والسلام

(جود حاتم)

قالت نوار امرأة حاتم أصابتنا سنة اقشعرّت [٣] لها الارض واغبرّ أفق السماء وراحت الإبل حُدْبا [٤] حدابير [٥] وضنت المراضع على أولادها فما تبضّ بقطرة وحَلَقَتْ السَّنَةُ [٦] المال وايقنا بالهلاك فوالله إنا لفى ليلة صِنَّبر [٧] بعيدة ما بين الطرفين إذ تضاغى [٨] صبيتا جوعا (عبد الله وعَدِيّ وسُفانة) فقام حاتم الى الصبيين وقمت الى الصبية فوالله ماسكتوا الا بعد هذه [٩] من الليل وأقبل يعللنى بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت فلما تهوّت النجوم اذا شىء قد رفع كسر البيت ثم عاد فقال من هذا قالت جارتك فلانة أتتك من عند صبية يتعاوون عواء الذئاب

---

(١) جعل الخير فيه (٢) جمع كفء وهو هنا البعل المساوى للمرأة في شرفها (٣) لم تنبت (٤) جمع أحدب أو حدباء أى مقوس الظهر أجوف البطن من الهزال (٥) جمع حدبار أى ذاهبة السنام (٦) المجاعة والمراد انها لم تبق على شىء (٧) باردة (٨) تصايح أي صاحوا معا (٩) وقت

فما وجدت مُعَوَّلا إلا عليك يا أبا عدى فقال أعجليهم فقد أشبعك الله وإياهم . فأقبلت المرأة تحمل اثنين وتمشى جنائبها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها[١] فقام الى جواده فوجأ[٢] لَبته بمدية فخر ثم كشط عنه جلده ودفع المدية الى المرأة فقال شأنك . فاجتمعنا على اللحم نشوى وجعلنا نأكل وجعل يمشى فى الحى يأتيهم بيتاً بيتا فيقول هبوا عليكم بالنار فاجتمعوا والتفع فى ثوبه ناحية ينظر الينا فلا والله إنْ[٣] ذاق منه مِزعة[٤] وإنه لأحوج اليه منا فأصبحنا وما على الارض من الجواد الا عظم وحافر

(التحصين بالعدل)

كتب الى عمر بن عبد العزيز بعض عماله يستأذنه فى تحصين مدينة . فكتب اليه : حصنها بالعدل ونقّ طرقها من الظلم

(تمام الامانة)

لما اتى عمر بن الخطاب بتاج كسرى وسواريه قال : إن الذى أدى هذا لأمين . قال له رجل يا أمير المؤمنين يؤدون اليك ما أديت الى الله فان رتعت[٥] رتعوا

---

(١) جمع رأل وهو ولد النعام (٢) شق (٣) حرف نفى بمعنى ما (٤) قطعة (٥) أكلت وشربت بشره والمراد جاوزت الحق وتعديت الحد

(موعظة خليفة)

لما استُخلف عمر بن عبد العزيز أرسل الى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب فقال : أشيرا علىّ . فقال له سالم : اجعل الناس أبا وأخا وابناً فبر أباك واحفظ أخاك وارحم ابنك

(خليفة وابنه)

قال عبد الملك بن مروان لابنه الوليد : يابنى اعلم انه ليس بين السلطان وبين أن يملك الرعية أو تملكه الاحرفان حزم وتوان

(تجربة حكيم)

قال بزرجمهر . عاديت الرجال فلم أر عدواً أعدى لى من نفسى ، وعالجت الشجعان والسباع فلم يغلبنى إلا الصاحب السوء وأكلت الطيّب وتمتعت باللذات فلم أر ألذّ من العافية ، وأكلت الصّبر[1] وشربت المر فما رأيت أشد من الفقر ، وصارعت الاقران وبارزت الشجعان فلم أر أغلب من المرأة السّليطة [2] ، ورميت بالسهام ورجمت بالحجارة فلم أر أصعب من الكلام السوء يخرج من فم مطالب بحق ، وتصدقت بالاموال والذخائر فلم أر صدقة أنفع من رد ذى ضالة الى الهدى وسررت بقرب الملوك وصلاتهم [3] فلم أر أحسن من الخلاص منهم

(١) شجر مر (٢) البذيئة اللسان (٣) جمع صلة وهى العطية

(جواب حكيم)

سأل رجل حكيما كيف أخوك ؟ فقال مات . قال وما سبب موته قال حياته

وشتم رجل حكيما فلم يرد عليه . فقال الرجل : إياك أعنى ، فقال الحكيم وعنك اعرض

(إياس فى الشام)

دخل إياس الشام وهو غلام فقدّم خصما الى القاضى وكان الخصم شيخاً كبيراً فصال عليه إياس بالكلام فقال له القاضى : خفّض عليك فانه شيخ كبير . فقال إياس : الحق أكبر منه . قال اسكت . قال ومن ينطق بحجتى . قال ما أراك تقول حقاً . قال لا إله الاّ الله . فدخل القاضى على عبد الملك فأخبره . فقال عبد الملك اقض حاجته وأخرجه من الشام فانه يفسد علينا أهلها .

(الحسن بن على واليهودى)

رأى يهودى الحسن عليه السلام فى أبهى زى وأحسن حال واليهودى فى حال ردئ وأسمال [1] رثة فقال اليهودى أليس يقول نبيكم : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر . قال الحسن : نعم قال

---

(١) جمع سمل وهو البالى

اليهودى : هذا حالى وهذا حالك ! فقال الحسن غلطت يا أخا اليهود لو رأيت ما أعده الله لى من الثواب وما أعده لك من العقاب لعلمت أنك فى الجنة وانى فى السجن

(اعجاب خطيب)

خطب معاوية يوما فأعجبته خطبته . فقال : أيها الناس هل من خلل (١) ؟ فقال رجل من عرض الناس : نعم خلل كخلل المُنْخُل . فقال : وما هو ؟ قال : إعجابك بنفسك ومدحك إياها

(حسن الاعتذار)

وقف اعرابى على قوم يسأل فقالوا من أنت ؟ قال : انسوء الاكتساب يمنعنى الانتساب

(مدح)

ذكر أعرابى رجلا . فقال : كأن الألسن والقلوب ربضت (٢) له فما تنعقد إلا على وده ولا تنطق إلا بثنائه

وذكر أعرابى قوما . فقال : أدبتهم الحكمة وأحكمتهم التجارب ولم تغرهم السلامة المنطوية على الهلكة ؛ ورحل عنهم التسويف الذى قطع الناس به مسافة آجالهم فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعال (٣)

---

(١) عيب (٢) ذللت (٣) الفعل الحسن

(ذم)

قال أعرابى يعيب قوما : هم والله أقل الناس ذنوبا الى أعدائهم وأكثرهم جُرما الى أصدقائهم ، يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء

(معاوية وموت الحسن)

لما بلغت معاوية وفاة الحسن دخل عليه ابن عباس . فقال له معاوية : أجرك الله فى الحسن ، ولم يظهر حزنا . فقال ابن عباس : إنا لله وإنا اليه راجعون ، وغلبه البكاء فرده ثم قال : لا يسد والله مكانه حفرتك ، ولا يزيد موته فى أجلك ؛ والله لقد أُصبنا بمن هو أعظم منه فما ضيّعنا الله بعده . قال معاوية : كم كانت سنه ؟ قال : مولده أشهر من أن تتعرف سنه : قال : أحسبه ترك أولادا صغارا . قال : كلنا كان صغيراً وكبر

(استنجاز وعد)

قال أعرابى لرجل مَطَله [1] ان مثل الظفر بالحاجة تعجيلُ اليأس منها اذا عُسر قضاؤها . وان الطلب وإن قلّ أعظم من قدر الحاجة وان جل . والمَطْل مع غير عسر آفة الجود

---

(١) المطل عدم التعجيل بالوفاء

(مدح)

مدح اعرابى رجلا . فقال : ذاك والله صحيح النسب ، مستحكم الادب من أى اقطاره [١] أتيته قابلك بكرم فعال وحسن مقال . اذا نزلت بك النوائب قام اليها ثم قام بها ولم تقعده علات [٢] النفوس عنها . لا تراه الدهر الا كأنه لاغنى به عنك وإن كنت إليه حوج ، واذا أذنبت غفر وكأنه المذنب ، وان احتجت أحسن وكانه المسئ . ذاك والله من شجر لا يجف ماؤه ، وماء لا يخاف كدره

(مدح)

قال مالك بن مسمع للاحنف بن قيس : ما أشتاق الى غائب اذا حضرت ولا أنتفع بحاضر اذا غبت

(البلاغة بعد الحصر)

أوفد سعيد بن سالم على الرشيد شاعراً باهلياً فأنشده قصيدة بارعة فاستر ابه [٣] الرشيد وقال سمعتُ مستحسَنا وأكرمتُ متّهَما ، فان كنت صاحب الشعر فقل فى هذين وأشار الى ولديه (الامين والمأمون) فقال يا أمير المؤمنين : ملكتنى هيبة الخلافة ،

---

(١) جهاته (٢) جمع علة وهى العذر الذى ينتحل لعدم الوفاء

(٣) داخله منه ريب وشك ألا يكون ما يقول من شعره

ووَحشة الغربة ، ورَوعة [١] المفاجأة ، وجلالة المقام ، وجماح القافية على غير الرويّة . فليُمهلني أمير المؤمنين حتي يتالف [٢] نافر القول فقال لاعليك ألاّ تقول قدجعلت اعتذارك عِوَضَ امتحانك فقال نفستَ الخناق ، وسهلت ميدان السباق ، ثم ارتجل

بَنَيتَ بعبدِ الله بعد محمدٍ
ذُرَا [٣] قبة الاسلام فاخضرّ عُودُها
هما طُنُباها [٤] بارك الله فيهما
وأنت أمير المؤمنين عمودُها

فقال الرشيد : وأنت بارك الله فيك فسل ولا تكن مسألتك دون إحسانك . فقال : الهُنَيدَة [٥] يا أمير المؤمنين . فأمر له بها وخلع عليه

(أسلوب الحكيم)

قال المنصور لجرير بن عبد الله : انى لأُعدك لامر كبير . قال ياأمير المؤمنين : قد أعد الله لك منى قلبا معقودا بنصيحتك ، ويدا مبسوطة بطاعتك ، وسيفا مسلولا [٦] على أعدائك

---

(١) فزع (٢) يسكن (٣) جمع ذروة وهى أعلى الشيء
(٤) الطنب حبل طويل تشد به الخيمة الى الاوتاد لتثبت (٥) مائة من الابل (٦) منزوعا من غمده

وقال أبو جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين لمَعْن بن زائدة أحد القواد : كبرت يامعن . فقال فى طاعتك . قال : ان فيك لجلادة . قال : على عدوك . قال وفيك بقية . قال : هى لك يا أمير المؤمنين .

ودخل رجل على مَعْن . فقال له معن : ما هذه الغيبة . فقال: أيها الامير ما غاب عن العين من يذكره القلب ، وما زال شوق الى الامير شديدا وهو دون ما يجب ، وذكرى له كثيرا وهو دون قدره ولكن جفوة الحُجَّاب منعتنى الاكثار . فامر معن حجابه أن يدخلوه كلما جاء

(فهم الشعر)

قال حسان بن ثابت :

إنّ التى عاطَيْتَنى فرَدَدْتُها
قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتها لم تُقْتَل
كلتاهما حَلَبُ العصير فعاطِنى
بزجاجة أرخاهما للمَفْصِل

قال أبو ظَبْيان : اجتمعت جماعة على شراب فتغنى رجل منهم بهذين البيتين . فقال آخر ما معنى قوله : (ان التى عاطيتنى) فجعلها واحدة . ثم قال : (كلتاهما حلب العصير) فجعلهما ثنتين .

فلم يعلم أحد منا الجواب . فقال رجل من القوم امرأته طالق ثلاثا ان بات أو يسأل القاضى عبد الله بن الحسن عن تفسير هذا الشعر. فأتوه يتخطّون اليه الاحياء (١) حتى خلوا عليه فى مسجده فلما سمع حسهم أوجز فى صلاته ثم أقبل عليهم وقال : ماحاجتكم . فبدأ رجل منهم وكان أحسنهم بقية (٢) . فقال نحن (أعزالله القاضى) نزعنا اليك من طَرَف البَصْرة فى حاجة مهمة فيها بعض الشئ فان أنت أذنت لنا قلنا . قال : قولوا . فذكر الرجل يمين الحالف والبيتين . فقال القاضى : فأما قوله ان التى عاطيتنى فانما يعنى الخمر وقوله قتلت أى مزجت بالماء وقوله كلتاهما حلب العصير أى الخمر والماء فالخمر عصير العنب والماء عصير السحاب . قال الله تعالى : وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجّاجاً . انصرفوا إذا شئتم . فانصرفوا

(مثال آخر)

قال متمم بن نويرة يرثى مالك بن نوَيْرَة أخاه

من كان مسروراً بمقتل مالك فلْيَأْتِ نِسْوَتَنا بوجه نهار
يجِدِ النساء حواسرا يَندُبْنَه بالصبح قبل تبَلُّج الاسحار

فى ظاهر هذا القول خُلْف إذ يقول بالصبح ثم يقول قبل

(١) جمع حى وهو منزل القوم (٢) فهما

تبلج الاسحار . . . وايضاح غامض هذا الشعر أن نجعل قبل بمعنى بعد وذلك وارد فى اللغة . أو نجعلها على حقيقتها ويكون (وجه نهار) اسم مكان وبالصبح أى بالخلال الجميلة التى هى فى الوضوح كضوء الصبح

(مثال ثالث)

قال بشار يصف شجاعة قومه :

اذا ما غَضِبْنا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً
هَتَكْنا حِجابَ الشَّمسِ أو قَطَرتْ دَماً

سأل شاعرنا الكبير محمد حافظ ابراهيم بك « الاستاذ الامام » فى مرض موته (رحمه الله) على أى شئ يعود الضمير فى قطرت وليس بمستقيم ان عاد الى الشمس فأجاب رحمه الله بذهنه الذى لم تنطفئ له جذوة : يريد أنهم اذا غضبوا سلوا سيوفهم وأشرعوا رماحهم فكان بريقها ولمعانها هتكا لحجاب الشمس وذهاباً ببهائها وما يعيدونها الى اغمادها حتى يمكنوها من طُلَى [1] أعدائهم فتعود وهى تقطر دما فالفاعل فى قطرت هو السيوف أو الرماح على حد قوله تعالى : (انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب) أى الشمس

---

(١) جمع طلية وهى العنق

(مثال رابع)

قال جرير يرثى عُمَر بن عبد العزيز ويصف هَوْل يومه

فالشمسُ طالعةٌ ليست بكاسِفَةٍ
تَبكى عليك نُجومَ الليل والقمرا

يحار القارئ فى وجه نصب نجوم وهى لاتصح أن تكون مفعول تبكى . وقد تمحّل بعضٌ بجعلها منصوبة على أنها مفعول معه حذفت منه الواو وهو لاحسن ولا وارد النظير . والصواب أنها مفعول به لكلمة كاسفة والمعنى أن الشمس طالعة ولم يمنع طلوعها طلوع النجوم والقمر وذلك انما يكون فى الهول والغارات الشنعاء حين يتعقد الغبار فى السماء فيرد ضوء الشمس ويكفهرّ الجو فتبين النجوم

(نقد)

قال ابو تمام يمدح المعتصم :

إقدامُ عَمرٍو فى سَماحَةِ حاتِم فى حِلم أحْنَفَ فى ذكاءِ إياسِ

وصف إياسا بالذكاء وليست شهرة إياس به انما اشتهر إياس بالزكن (وهو التفرس وصدق النظر وصواب التخمين) وان كان ذلك من الذكاء لكنه نوع وحدَه ولم ينعتوا إياسا إلا بالزكن فلما فات أبا تمام أن يستقيم له الشعر على وصفه بالزكن تجوّز فوصفه بالذكاء

(زكن إياس)

من الامثلة التى تحكى عن إياس وزكنه أنه خرج حاجا مع قوم فسمع فى الطريق نُباح كلب فقال هو مشدود . ثم سمعه ثانيا فقال قد ارسل فلما انتهوا إلى مكانه سألوا فعرفوا صدق ما قال فسألوه كيف عرف ذلك . فقال : كان نُباحه يسمع من مكان واحد فعلمت أنه مشدود ثم صار يقرب ويبعد فعلمت أنه أطلق . ولعمرى إن إدراك الفرق بين الحالين لهو العجب . ونظر مرة الى حائط فرأى فيها آجُرّة . فقال : تحت هذه الآجرة حيوان فنزعوها فاذا تحتها حيّة فسئل عن ذلك . فقال انى رأيت ما بين الآجرتين نَديًا من بين جميع الآجرّ فعلمت أن تحتها شيئا يتنفس

قالوا وقد ألف أبو الحسن المدائنىّ كتابا قصره على ذكر نوادر إياس . ولو عثرنا على هذا الكتاب ما كان (شارلوك هو لمز) معدودا بجنب إياس

(نقد)

لاجُودَ للاقوام يُعْلِم ماخلا ... جوداً حليفاً فى بنى عتّاب
متدفقاً صَقلوا به أحسابهم ... إن السماحة صَيْقَلُ الاحساب

* * *

لشاعرنا الكبير محمد حافظ ابراهيم بك أدب بارع ورواية مستفيضة ومجلس جم الفائدة . ولعل أخص خصائصه وأفضل فضائله ذوق يفرق بين أقدار الكلام ويدرك به العيب المغيّب ، والحسن المطوى وتلك لعمرى منزلة يزلّ عنها كثير من الادباء أما حافظ فلا يكاد يذكر بيتاً من محفوظه (وهو كثير) الا أتبعه بوجه حُسنه أو شائبة عيبه . وله فى هذين البيتين (وهما لابى تمام) نقد بديع فانه يقول : لم أرَ تفاوتا بين شيئين كما رأيت بين هذين البيتين ، فأولهما سُفْل ، وثانيهما عُلو . وأولهما تنطع وسماجة ، وثانيهما ظرف ورشاقة . وأولهما من كلام الفقهاء ، وثانيهما من أرصن ما عُدّ للشعراء . وأولهما أعجب ما فيه انه أمكن أن يكون شعراً مع تعسف أسلوبه وكثرة اضطرابه بكلمة (يُعلم) والاستثناء بلفظة (ما خلا) ، وثانيهما لو لم يكن شعراً لكانه لروعة تركيبه وشرف أسلوبه

ومن قوله ان البيت الاول يأبى أن يقرأ الا بمطط الالفاظ مطوّل المدود بلهجة عتيقة أزهرية ، إذ ليس الا قولة من حاشية وثانيهما يتدفق به القول ويمتلئ بلفظه الفم لجلال معناه وفخامة كلامه

(الاشارة بالقول)

وقع جاسوس عربى فى يد العدو فحبسوه وألزموه أن يكتب

الى ملكه كتاباً يحمله فيه على مداهمتهم ويوهمه بقلة عددهم غشاً وتغريراً . فكتب مايأتى .

أما بعد فقد أحطت علماً بالقوم وأصبحت مستريحاً من السعي فى تعرف احوالهم . وإنى قد استضعفتهم بالنسبة لكم وقد كنت أعهد فى اخلاق الملك المُهنَّأة بالامور والنظر فى العاقبة فقد تحققتُ انكم الفئة الغالبة باذن الله ولقد رأيت من أحوال القوم مايطيب به قلب الملك : (نصحت فدع ربيك ودع مهلك) والسلام

فلما قرأ الملك الكتاب قال للجالسين معه انه يشير الى انهم اضعافنا بقوله (انكم الفئة الغالبة) لقوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله . ولفتنى الى الأناة [1] إذ جعلها عادة لى . وأرادقلب الجملة الاخيرة فتكون (كلهم عدو كبيرُ عَدٍّ فتحصَّن)

(قوة الصبر والرباطة)

اخذت الأَكِلَةُ [2] عُروة بن الزبير فى رجله فأشاروا عليه ببترها وقالوا نسقيك المرقد فان الألم ربما عَزَب [3] معه الصبر ثم دخل عليه جماعة فأنكرهم فقال من هؤلاء قالوا يمسكونك ان تَتَفَلَّت من أيدينا . قال أرجو أن أكفيكم ذلك من نفسى

(١) الحلم والتأنى (٢) داء فى العضو يأتكل منه (٣) بعد

ثم مد رجله وأعمل الطبيب فيها السكين حتى اذا بلغ العظم أغلى الزيت فى مغارف الحديد وحُسِم به الدم ذلك وعروة لم يتقبض له وجه ولم تتغير له سَحْنَة ولم تسمع له أنة . ولم يكد يتم الطبيب عمله حتى دخل على عروة رجل يعزيه فقال : ان كنت تعزينى عن رجلى فقد احتسبتها[1] قال بل عن ولدك ، فقد سقط الساعة فى إصطبل فلم تأْلُه[2] الدواب رفساً حتى قتلته فما زاد على أن قال : اللهم إنك أخذت ابنا وأبقيت أبناء ، وأخذت عضواً وتركت أعضاء . اللهم ان كنت ابتليت فقد عافيت ، وان كنت أخذت فقد أبقيت

(الاغترار)

لما عاد المتنبي من عند عضد الدولة واجتاز بأبى نصر نصحه باصطحاب الخفراء قائلا له : انك ستقطع بادية بني أسد وأنت لا تجهل الحقد الذى يضمره لك أبو جهل من جَرّاء هجوك إياه فاصطحب الخفراء ، فأبى وقال لا أرضى أن يتحدث الناس بانى سرت فى خفارة(٣) أحد غير سيفى والله لو ان مِخْصرتى (٤) هذه ملقاة على شاطئ الفرات وبنو أسد مُغْطِشون بخمس (٥) وقد نظروا الى الماء يلمع كبطون

---

(١) نويت بها وجه الله (٢) تقصر وتتوانى (٣) حراسة
(٤) عصا صغيرة (٥) الخمس ان تورد الابل كل خمسة أيام

الخيّات ما جسر لهم خُفّ ولا ظِلف (١) أن يَردَه . ثم ركب وسار فوقع فى الهلاك وما كان أحوجه الى قوله

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى المحل الثانى

(جواب مسكت)

أقبل يزيد بن مزيد وقد خبأ شيئا تحت إبطه فقال له رجل ما هذا الذي تحت حضنيك قال يا أحمق ولمَ خبأته ؟

(بلاغة الارتجال)

قيل للرشيد إن عبد الملك بن صالح يُعدّ كلامه فاذكر ذلك الرشيد وقال : اذا دخل فقولوا له : وُلد لامير المؤمنين ابن فى هذه الليلة ومات ابن . ففعلوا . فلما حضر فاجئوه بذلك فدخل على الخليفة وقال :

سرّك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ، ولا ساءك فيما سرّك وجملها واحدة بواحدة ، ثواب الشاكر . وأجر الصابر . . فعرفوا أن بلاغته طبع

(أقسام النعمة)

دعا أعرابى لرجل . فقال : النعم ثلاث . نعمة فى حال كونها ،

---

(١) أى دابة من ذات الخلف أو الظلف

ونعمة ترجى مستقبلة ، ونعمة تأتى غير محتسبة (١) ، فأبقى الله عليك أما نت فيه ، وحقّق ما ترتجيه ، وتفضل عليك بما لم تحتسبه

(كلام فى صلح)

قال قبيصة بن نُعَيم لما قدم على امرئ القيس فى أشياخ بنى أسد يسألونه العفو عن دم أبيه

انك فى المحل والقدر من المعرفة بتصرف الدهر وما تحدثه أيامه ، وتنتقل به احواله بحيث لاتحتاج الى تذكير من واعظ ، ولا تبصير من مجرّب ، ولك من سُودَد منصبك وشرف أعراقك (٢) وكرم اصلك فى العرب مختبَدٌ (٣) يحتمل ماحمل عليه من إقالة العثرة (٤) ، ورجوع عن الهَفْوة . ولا تتجاوز الهمم الى غاية الا رجعت اليك فوجدت عندك من فضيلة الرأى ، وبصيرة الفهم ، وكرم الفصح مايطوّل رَغَبَاتها ويستغرق طَلِباتها (٥) وقد كان الذى كان ، من الخطب الذى عمّت رزيته (٦) نزارا واليمن ولم تخصّص به كندة دوننا : للشرف البارع الذى كان لحُجْر (٧) . ولو كان يُفْدَى هالك بالانفس الباقية بعده لما بخلت

---

(١) غير منتظرة (٢) أنسابك (٣) أصل (٤) المساعدة على الخلاص من المكروه (٥) جمع طلبة وهى الطلب (٦) مصيبته (٧) أبو امرىء القيس

كرائمنا بها على مثله ، ولكنه مضى به سبيل لا يرجع أخراه على أولاه ؛ ولا يلحق اقصاه بأدناه . فأحمد الحالا ت عندك ان تعرف الواجب عليك فى إحدى خلال ثلاث : إما أن اخترت من بنى أسد أشرفها بيتا وأعلاها فى بناء المكرمات صوتا فقدناه (١) اليك بنسمة (٢) تذهب مع شفرات حسامك بباقي قصرته (٣) فنقول رجل امتحن بهالك عزيز فلم يستل سخيمته (٤) الا تمكينه من الانتقام ، أو فداء بما يروح على بنى أسد من نعمها وهى الوف تجاوز الحسبة فكان ذلك فداء رجعت به القضب (٥) الى اجفانها لم يرددها سليط الاحن (٦) على النعماء (٧) ؛ وإما أزوادعتنا الى أن تضع الحوامل فتسئل الازر وتغتمد الخمر فوق الرايات »

فبكي امرؤ القيس ساعة ثم رفع رأسه فقال :

« لقد علمت العرب ان لا كفاء لحجر فى دم ، وانى لن اعتاض به نافة او جملا فأكتسب بذلك سبة الابد ، وفت العضد . وأما النظرة فقد أوجبتها الاجنة فى بطون امهاتها ولن اكون لعطبها سببا وستعرفون طلائع كندة تحمل فى القلوب حنقا (٨) وفوق الاسنة علقا (٩)

---

(١) سقناه (٢) قطعة (٣) رقبته (٤) ينتزع ضغنه (٥) السيوف (٦) الضغائن (٧) جمع برىء (٨) غضبا (٩) دما

اذا جالت الحرب فى مأزق (١)

تصافح فيه المنايا النفوسا

أتقيمون أم تنصرفون . قالوا بل ننصرف باسوإ الاختيار ، وأبلى الاجترار (٢) ، بمكروه وأذية ، وحرب وبلية . ثم نهضوا عنه وقبيصة يتمثل

لعلك ان تستتوخم (٣) الورد إن غدت

كتائبنا فى مأزق الحرب تمطرُ

فقال امرؤ القيس لا والله ولكن استعذبه ، فرويداً ينفرج لك دُجاها عن فرسان كندة وكتائب حمير . ولقد كان ذكر غير هذا أولى بى إذ كنت نازلا بربعى . ولكنك قلت فاوجبت

(مرض الروح)

قيل للشعبى : هل تمرض الروح ؟ قال نعم فى ظل الثفلاء . قال بعض اصحابه . فوجدته بين ثقيلين . فقلت : كيف الروح ؟ قال : فى النزع

(خطاب الملوك)

قال المأمون لعبد الله بن طاهر أيما أطيب مجلسى أو منزلك ؟

---

(١) مضيق (٢) أبلى أشنع والاجترار الجناية على النفس والمراد انهم عادوا برأى سيجر عليهم المصائب (٣) تجده سيء العاقبة

قال : ما عدلت بك يا امير المؤمنين شيئا . قال : ليس الى هذا ذهبت إنما ذهبت الى الموافقة فى العيش واللذة . قال . منزلى يا أمير المؤمنين . قال : ولمَ ؟ قال : لانى فيه مالك وأنا هنا مملوك

(صعلوك ثم سيد)

استاذن حاجب بن زُرَارة على كسرى . فقال له الحاجب : من أنت ؟ فقال : رجل من العرب . فاذن له فلما وقف بين يديه. قال له : من أنت ؟ قال : سيد العرب . قال : ألم تقل للحاجب أنا رجل من العرب . قال : بلى ولكني وقفت بباب الملك وأنا رجل منهم فلما وصلت اليه سُدْتهُم . قال كسرى : زِهْ (١) . احشوا فاه دُرًّا

(تعليم الشعر)

قال البحترى : كنت فى حداثتى أروم الشعر وكنت أرجع فيه الى طبعى ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضابه حتى قصدت ابا تمام وانقطعت فيه اليه واتكلت فى تعريفه عليه فكان اول ماقال لى : يا أبا عُبادة تخير الاوقات وانت قليل الهموم صِفْر من الغموم واعلم ان العادة جرت فى الاوقات أن يقصد

(١) كلمة استحسان واعجاب وهى فارسية

الانسان لتأليف شئ أو حفظه فى وقت السَّحَر ، وذلك أن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم . وان أردت التشبيب [١] فاجعل اللفظ رقيقا ، والمعنى رشيقا . وأكثر فيه من بيان الصبابة [٢] ، وتوجّع الكآبة . وقلق الاشواق ، ولَوعة الفراق . فاذا أخذت فى مديح سيدٍ ذى أيادٍ [٣] فأشهر مناقبه [٤] ، وأظهر مناسبه [٥] . وابن معالمه وشرفَ مقامه ونضّض [٦] المعانى واحذر المجهول منها . وإياك أن تَشين شعرك بالالفاظ الردئية . وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجساد . واذا عارضك الضجر فأرِحْ نفسك ولا تعمل شعرك إلا وانت فارغ القلب . واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة [٧] الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين . . وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد إن شاء الله . قال البحترى : فاعملت نفسى فيما قال فوقفت على السياسة [٨] . .

---

(١) مدح النساء فى الشعر (٢) الشوق (٣) نعم (٤) جمع منقبة وهى الفضيلة (٥) أصوله الشريفة (٦) أطلبها طلبا حثيثا (٧) الوسيلة (٨) المراد سياسة الشعر أى تذليله وتسهيل صعبه

الفصل الثانى

(الفكاهة)

نقلت فى هذا الفصل ماعثرت به من الفكاهة المنعشة ، والنادرة العجيبة . وقد قصدت فى ذلك الى غرضين ، فأما أحدهما فهو ما أعلم من حاجة كل نفس الى الجمام (١) ، وراحتها الى الهزل ؛ وأما ثانيهما فهو توقيف المتأدب على ذوق العرب فى جميع حالاته ليكون ذلك أعون على تمام الملكة . وقد تم لى مع هذين الغرضين أن أحمل الناشىء على أن يلهو بالشرف ويولع بالطاهر

(عبدل وممدوحه)

أسدى مجوسى معروفا الى عبدل الشاعر ، بأن ساق عنه صداق امرأة تزوجها فقال عبدل يمدح المجوسى

شَهِدتُ عليك بطيب المُشاش
وانك بحرٌ جوادٌ خِضَمّ (٢)
وانك سيد أهل الجحيم
اذا ما تَرَدَّيتَ فيمن ظلم

---

(١) استعادة النشاط (٢) المشاش النفس . الخضم البحر الواسع الكثير الماء

نظير لهامان في قعرها
وفرعون والمكتنى بالحكم (١)
كفاني المجوسي مَهر الرَّباب
فِدًى للمجوسي خالٌ وعمْ

فلما تأذى المجوسي من جعله في النار قال له أما ترضى أن تكون مع من ذكرت

(طبق أشعب)

مر أشعب برجل يصنع طبقا (٢) فقال له زد فيه طَوقا فقال له الرجل : وما يَعنيك أن أزيد فيه أو أنقِّص وهو ليس لك . قال : لعله يُهدى الىّ فيه شيء

(أشعب والسمك)

شم أشعب ريح طعام فوَغَل (٣) على أصحابه فلما علموا بمجيئه نحَّوا (٤) سمكا كباراً كان أمامهم وقدموا سمكا صغارا ثم رحبوا به وقالوا له : كلْ وانتقم من السمك الذى نهش أباك فاخذ سمكة صغيرة ووضعها عند اذنه (وكان قد رأى السمك الكبار في

(١) المكتنى بالحكم هو أبو لهب (٢) هو ما يؤكل عليه (٣) دخل من غير استئذان ولا دعوة (٤) جعلوه ناحية

ناحية من المكان) فقالوا له : ماتصنع ؟ قال : ان هذه السمكة تحدثنى أنها لم تكن ولدت يوم غرق أبى وأن هذه الكبار هى التى حضرت ذلك

(أيهما أشد حبا)

قال رجل من أهل الكوفة لآخر من أهل المدينة نحن أشد حبا لرسول منكم . فقال المدنى : فما بلغ من حبك له ؟ قال : وددت أنى وقيته بنفسى يوم أحد (١) فيقع علىّ ماناله . فقال المدنى : أفعندك غير هذا ؟ فقال : وما يكون غير هذا ! قال المدنى : ووددت أن أبا طالب كان آمن فسر النبى ايمانه وأكون أنا الكافر

(اعتذار أبى كعب)

كان أبو كعب القاصّ يقص فى مسجد عتّاب كل أربعاء فاحتبس عنهم فى بعض الايام وطال انتظارهم له فأرسل اليهم يقول: انصرفوا فانى أصبحت مخمورا (٢)

(الدهن فى الأذن)

حدّث سعيد بن مسلم . قال : كنا بخراسان فى منزل بعض

---

(١) جبل بالمدينة دارت عند وقعة مشهورة بين النبى والمشركين

(٢) مصابا بصداع الخمر

الدهاقين (١) ونحن شباب وفينا شيخ . قال : فاتانا رب المنزل بدُهن طيب فدهن بعضنا رأسه ، وبعضنا لحيته ، وبعضنا مسح شاربه ، وبعضنا مسح يديه وأمرّهما على وجهه ، وبعضنا أخذ بطرف إصبعه فادخله فى انفه ومسح شاربه ، وتعمد الشيخ الى بقية الدهن فصبها فى اذنه . فقلنا له : ويحك (٢) خالفت أصحابك كلهم هل رأيت أحدا إذا أتوه بدهن صبه فى أذنه قال : أكرمها على سائر أعضائى وهى مع ذلك تؤلمنى !

(مرآة بشار)

رفع الخادم الى بشار الشاعر حساب المنزل وفيه عشرة دراهم لطلاء المرآة فتعجب بشار وقال : مرآة أعمى تطلى بعشرة دراهم ! والله لو ان عين الشمس صَدِئت ما احتاجت الى هذا المقدار

(بشار والقاص)

سمع بشار قاصّا يقول فى رمضان : من صام شعبان ورمضان بُنى له فى الجنة قصر ذرعه سبعون ذراعا فى سبعين فقال بشار بئس القصر فى كانون الثانى

---

(١) جمع دهقان وهو عند العجم زعيم الفلاحين (العمدة)

(٢) هذه الكلمة تكون للعجب والزجر وهى هنا للعجب

(بشار والجنازة)

كان بشار يسير فى الطريق فمر قوم بجنازة وهم يسرعون فالتفت الى قائده وقال ما لهم يسرعون ؟ لعلهم سرقوه

(بشار ثاقب لؤلؤ)

كان بشار فى مجلس المهدى والشعراء ينشدون الشعر وكان فى المجلس خال المهدى وكان يرمى بالبله فسأل بشارا ماصناعتك ياشيخ فقال بشار أثقب اللؤلؤ فقال الخليفة أتتنادر (١) على خالى ؟ ! قال وما أصنع ! يرى شيخا أعمى فى مجلس الخليفة والشعر ينشد بين يديه ثم يسألنى عن صناعتى

(الاعمى وقائده)

كان رجل يقود أعمى بكيراء (٢) وكان الاعمى ربما عثر العثرة ونكب النكبة فيقول : اللهم أبدل لى قائداً خيرا منه . فيقول القائد : اللهم أبدل لى به أعمى خيرا منه

(الجزء الذى لايتجزأ)

سأل بعض الناس أبا لقمان المرور (٣) عن الجزء الذى لايتجزأ ماهو ؟ قال : الجزء الذى لايتجزأ هو على بن أبى طالب عليه السلام .

---

(١) تسخر وتتهكم به (٢) بأجر (٣) المجنون

فقال له ابو العيناء : افليس فى الارض جزء لا يتجزا غيره ؟ قال بلى حمزة جزء لا يتجزأ وجعفر كذلك . قال : فما تقول فى العباس . قال : جزء لا يتجزأ . قال : فما تقول فى عثمان . قال : يتجزأ مرتين . قال: فأى شىء تقول فى معاوية . قال : لا يتجزأ . ولعل أبا لقمان كان يسمع تلك الكلمة من المتكلمين فظنها شيئا هائلا وأمرا جليلا فكان على حساب ذلك قوله

(المدعى الابله)

قدّم رجل ابن عم له الى القاضى وادعى عنده الف درهم فقال ابن عمه ما أعرف مما قال قليلا ولا كثيرا ! فقال الرجل للقاضى سجّل عليه ذلك كتابة . فقال القاضى الانكار لا يفوتك فى أى حين طلبته منه

(الطب القاتل)

قال ثُمامة مررت فى غِبّ (١) مطر والارض نديّة السماء غائمة والريح شمال فاذا شيخ أصفر كأنه حرادة قد جلس على قارعة الطريق وحجّام زنجى يحجمه بمحاجم كل مِحجمة كأنها قَعب (٢) وقد مص دمه حتى كاد يأتى عليه . قال ثمامة فوقفت امامه وقلت

(١) عقب (٢) قدح ضخم

ياشيخ لم تحتجم ؟ قال لمكان هذا الصفار الذى بى

(أقبح تعزية)

دخل أبو عتّاب على عمر بن هدّاب وقد كف بصره والناس يعزونه فمثل بين يديه وكان كالجمل المحجوم (١) وله صوت جهير فقال يا أبا أسيد لا يسوءك ذهابهما فلو رأيت ثوابهما فى ميزانك تمنيت أن الله تعالى قد قطع يديك ورجليك ودق ظهرك وأدمى ضلعك

(بخيلان يتعاونان)

قال رجل لثُمامة بن أشرس ان لى اليك حاجة ، قال ثمامة وأنا لى اليك حاجة ، قال وما حاجتك قال لا أذكرها حتى تضمن لى قضاءها ، قال قد فعلت ، قال فحاجتى ألا تسألنى حاجة

(الاعرابى والغزو)

قيل لأعرابى ألا تغزو العدو : فقال : والله انى لأُبغض الموت على فراشى فكيف أخُبُّ (٢) اليه رَكضا

(القائد الجبان)

وجه بعض الولاة قائدا فى ألفين لخارجى فى أربعين رجلا

---

(١) الذى وضع له الحجام فى فمه لئلا يعض (٢) اسرع

فشدوا عليهم شدة رجل واحد فانهزم القائد وجنده فلما دخل على الامير عنّفه فخرج عنه وهو يقول : أن يشتمنى الامير وأنا حى أحب الىّ من ان يترحم علىّ وأنا ميت

(طيلسان (١) ابن حرب)

اهـدى محمد بن حرب الى الحمدونى الشاعر طيلسانا خَلَقا فأكثر فى وصف بلاه وانسالت عليه المعانى حتى قال فيه قُرابة مائتى مقطوعة لاتخلو واحدة منها من معنى جديد وكلها تهكم بالهدية فمن قوله فيه :

طيلسانٌ لو كان لفظاً إذاً ما
شَكَّ إنسانٌ انهُ بُهتانُ (٢)
فهوَ كالطُّورِ إذ تَجلّى لهُ اللـ
ـه فدُكتْ قُواه والاركانُ (٣)
كم رَفَوْناهُ إذ تَمزَّقَ حتى
بقىَ الرَّفْو وانقضى الطيلسان

---

(١) كساء يلتفع به فوق الثياب (شال كشميري) (٢) كذب
(٣) الطور جبل سيناء

(وقوله)

فيما كسانيه ابنُ حربٍ مُعتَبَرْ
فانظر إليه فانه احدى العِبَرْ
قد كان ابيضَ ثم ما زلنا به
نَرفُوهُ حتى اسودَّ من صَدَإ الإبَرْ

(وقوله)

يا ابن حرب أطلتَ فقرى برفوى
طيلسانا قد كُنتُ عنه غنيّا
فهو فى الرفو آلُ فرعونَ فى العَرْ
ضِ على النار بُكرةً وعشيّا

(وقوله)

يا ابن حرب كسوتنى طيلسانا
ملّ من صحبة الزمان وصَدّا (١)
طال ترداده الى الرَّفو حتى
لو بعشناه وحده لتَهَدّى (٢)

---

(١) سئم (٢) اهتدى

(حيلة طفيلى)

قيل لعثمان بن دُرّاج الطفَيلى : كيف تصنع بدار العرس اذا لم يدخلوك ؟ قال : أنوح فيتطيرون من ذلك فيدخلونى

وقيل له ما هذه الصفرة التى فى لونك ؟ فقال : من الفَتْرة (١) التى بين الصحنين

(موت أبى دلامة)

دخل أبو دلامة يوما على المهدى وهو يبكى فقال له مالك ؟ قال ماتت أم دلامة وأنشأ ينفسه فيها

وكنا كَزَوجٍ من قطاً فى مَفازة
لهنى خَفضِ عيشٍ مُونقٍ ناضرٍ رَغَد (٢)
فافردنى رَيب الزمان بصَرْفه
ولم أر شيئا قطُّ أوحشَ من فَرد

فامر له بطيب وثياب ودنانير وخرج . فدخلت ام دلامة على الخيزُران (٣) واعلمتها ان ابا دلامة قد مات فاعطتها مثل ذلك وخرجت . فلما التقى المهدى والخيزران عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه

---

(١) السكتة (٢) القطا طائر ـ الخفض السعة ـ المونق الجميل
(٣) امرأة المهدي

(أبو دلامة يهجو نفسه)

قال ابو دلامة دخلت على المهدى وعنده جماعة من بنى هاشم فقال المهدى له انا اعطى الله تعالى عهدا لئن لم تهجُ واحدا ممن فى البيت لاضربن عنقك . فنظر اليه القوم وغمزوه بان عليهم رضاه قال ابو دلامة إنى وقعت وإنها عزمة من عزماته ولا بد . منها فلم ار احـد احق بالهجاء منى ولا ادعى الى السلامة من هجائى نفسى فقلت

الا ابلغْ لديك ابا دُلامه
فليس من الكرام ولا كرامهْ
اذا لبس العمامة قلت قردُ
وخنزير اذا وضع العمامهْ
جمعت دمامةً وجمعت لؤماً
كذاك اللؤم تتبعه الدمامهّ (١)
فان تك قد اصبت نعيم دنيـا
فلا تفرح فقد دنت القيامه (٢)

فضحك القوم ولم يبق منهم احـد إلا اجازه

---

(١) الدمامة القبح (٢) أصبت نلت

(أبو دلامة وصائد الكلب)

خرج المهدى وعلى بن سليمان الى الصيد فسنح لهما قطيع من ظباء فارسلت الكلاب واخريت الخيل فرمى المهدى سهما فصرع ظبيا ورمى على بن سليمان فقتل كلبا فقال فى ذلك ابو دلامة

قد رمى المهدىّ ظبيا شك بالسهم فؤاده
وعلى بن سليما ن رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كـ ـل امرىء يأكل زاده

فضحك المهدى حتى كاد يسقط عن سرجه وقال صدق والله ابو دلامة وامر له بجائزة ولقب على بن سليمان بصائد الكلب فعلق به

(أبو دلامة وسلمة)

دخل ابو دلامة على المهدى وسلمة الوصيف واقف فقال ياامير المؤمنين انى قد اهديت لك مُهرا (١) ليس لاحد مثله فان رأيت أن تشرفنى بقبوله . فمرّ بادخاله . فخرج ابو دلامة وأدخل فرسه الذى كان تحته فاذا هو برذون محطّم اعجف هرِم فقال له المهدى اى شىء ويلك هذا ؟ ! الم تزعم انه مهر فقال له او ليس

(١) جوادا صغيرا

هذا سَلَمَة الوصيف بين يديك قائما تسميه الوصيف وله ثمانون سنة فان كان سلمة وصيفا فهذا مهر فجعل سلمة يشتمه والمهدى يضحك

(الشاعر المغرب)

دخل رجل أعمى على الرشيد فقال ياأمير المؤمنين انى هجوت الروافض . قال هات : قال

شمساً ورَغْماً وزَيتوناً ومَظْلمةً
من ان ينالوا من الشيخين طغياناً

فقال فسّره . قال : ياأمير المؤمنين أنت فى مائة الف لا تفهم هذا فأفهمه أنا وحدى فضحك وأمر بصلته

(نصيحة سائل)

أتى سائل دارا يسأل منها فأشرفت عليه امرأة من الغرفة . قال لها : بأَمَة الله تصدقى علىّ بشىء . قالت . أى شىء تريد ؟ قال : درهما . قالت : ليس . قال : فدانقا . قالت : ليس . قال : فقطرة من زيت . قالت : ليس . حتى عدّد كل شىء يكون فى البيوت وهى تقول ليس . فقال : ياقبيحة فما بجلساك ؟ ! مُرّى فاسألى معى

(الاصمعى والسائل)

قال الأصمعى وقفت على سائل بالمربد (١) وهو يقول : قد رَهنَتُ القصاع من شهوة الخبز . . فقلت هذا شعر فقال أتمه أنت فقلت :

فمن لى بمن يفُكُّ القصاعا

فقال اضمم اليه بيتا فقلت :

ما رهنت القصاع ياقوم حتى خِفتُ والله أن أموت ضياعا

فقال : أنت أحوج منى الى المسألة

(دعوة غير مستجابة)

دخل أزهر السمّان على المنصور فشكا اليه الحاجة وسوء الحال فأمر له بالف درهم . وقال : ياأزهر لا تعد لمسألتنا ثم عاد ثانيا . فقال له : ما حاجتك ؟ قال : جئت لأدعو لامير المؤمنين . قال : بل أتيتنا لمثل ما أتيت له فى المرة الأولى فأمر له بالف درهم . وقال : ياأزهر لا تأتنا ثالثة فلا حاجة لنا فى دعائك . قال : نعم ثم لم يلبث ان عاد . فقال له : ما جاء بك . قال : دعاء كنت سمعته منك أحب أن آخذه عنك . فقال : لا تردّه فانه غير مستجاب فقد دعوت الله به أن يريحنى من رؤيتك فلم يفعل

(١) سوق البصر

(باقل والظبى)

كان باقلٌ قد اشترى ظبيا باحد عشر درهما . فقالوا له : بكم اشتريت الظبي فلم يستطع لِميّه أن يقول بإحد عشر درهما بل فتح كفيه وفرّق أصابعه وأخرج لسانه يريد أحدى عشر فافات الظبي لانه كان قد وضع حبله فى فمه فلما احتاج للحادى عشر أخرج لسانه

(طمع أشعب)

قيل لاشعب : أى شيء بلغ من طمعك . قال : كان صبيان قد ولعوا بمماكستى فاحتلت لانحّيهم عنى . فقلت لهم : ان فى دار بنى فلان عُرسا وهناك نثار . فولوا عنى مبادرين فداخلنى الشك فى أن يكون ما أقول صحيحا ، فشددت وراءهم طمعا فى النثار

(أشعب والعرس)

كان بجوار أشعب عُرس فتجوع طول يومه ولزم منزله طمعا فى أن يدعى فلما تعالى [1] النهار وجاع ولم يُدْعَ قال : قبح الله هذا الخبز وقام الى طعام له فقدمه وجعل يأكل فسمع وقع الباب . فقال من هذا ؟ قال : من دار العروس . قال : اصبر فديتك

---

(١) أرتفع

ودخل الخلاء فرمى بجميع ما كان أكله وغسل فمه وخرج اليه . فقال له : تقول لك مولاتى اعيرونا الهاوُن ساعة . فقال له : اخسا (١) لعنك الله ولعن مولاتك

(البيت والقبر)

قيل لابن رَواح الطفيلى : كيف اينك هذا ؟ قال : ليس فى الدنيا شىء مثله سمع نادبة خلف جنازة وهى تقول : واسيداه يذهب بك الى بيت ليس فيه ماء ولا طعام ولا فراش ولا وطاء (٢) ولا سراج ولا ضياء . فقال : ياأبتِ يذهبون الى بيتنا !

(نعيمان والأعمى)

مرَّ نُعيمان (وكان شديد الدُّعابة) ذات يوم بمخرمة ابن نَوفل الزهرى الضرير فى المسجد . فقال له مخرمة : خذ بيدى حتى أبول فاخذه بيده حتى اذا كان فى أقصى المسجد قال له : اجلس فجلس يبول فصاح به الناس إنك فى المسجد قال : ومن قادنى . قالوا : نعيمان . قال : والله لأضربنه بعصاى هذه إن وجدته فأتاه نعيمان . فقال له : هل لك فى نعيمان . قال: نعم . فاخذه بيده حتى أوقفه على عثمان بن عفان وهو خليفة وتنحى عنه فرفع مخرمة عصاه ليضرب

---

(١) كلمة زجر معناها ابعد (٢) مايتام عليه

فصاح به الناس تضرب أمير المؤمنين . قال : ومن قادنى قالوا نعيمان . قال : لا جَرَم (٢) لا تعرضت له أبدا . .

(عيب مقبول)

اشترى أعرابى غلاما رقيقا وسأل البائعَ هل من عيب . فقال : لا ، إلا أنه يبول فى الفراش . فقال : ليس بعيب ؛ ازوجد فراشا بال فيه

(ميتة مامولة)

سمع أعرابى يقول : اللهم أسالك ميتة كميتة ابى خارجة اكل بَذَجا (١) وشرب باردا ونام فى الشمس فمات دفآن شبعان ريّان

(الاعربى والحجاج)

خرج الحجاج متصيداً فوقف باعرابى يرعى إبله . فقال له : يا أعرابى كيف رأيت سيرة الحجاج . فقال : عشوم (٣) ظلوم لاحياه الله . قال : فلم لاشكوتموه الى عبد الملك . قال : أغشم وأظلم . فبينا هو كذلك إذ أحاطت به الخيل فاومأ الحجاج الى الاعرابى فاخذ وحمل فلما صار معه قال : مَن هـذا ؟ قالوا الحجاج فحرّك دابته حتى صار بالقرب منه ، ثم ناداه يا حجاج . قال : ماتريد ؟

---

(١) كلمة قسم (٢) ولد الضأن (٣) شديد الظلم

قال : السر الذى بينى وبينك أحب ان يكون مكتوما فضحك الحجاج وامر باطلاقه

(نوم الاعمش)

قال رجل للاعمش كيف بتّ البارحة ، فدخل وجاء بحصير ووسادة ثم استلقى وقال هكذا

(رؤيا أشعب)

قال اشعب رايت فى النوم كانى احمل بَدْرَة (١) فمن ثقلها احدثتُ فى ثيابى فانتبهت فرايت الحَدَث ولم ارَ البَدْرة

(الزوج السادس)

قال المدائنى. كان المطّلب بن محمد على قضاء مكة وكان عنده زوجة قد مات عنها اربعة ازواج فمرض مرض الموت فجلست تبكى عند رأسه وتقول : الى من توصى بى بعدك !! قال : الى السادس الشقى

(حجر الرحى)

قال رجل لآخر : انت اثقل عندي من نصف حَجَر الرحى قال : ولمَ لا تقول من الحجر كله ؟ قال : انه اذا كان صحيحا تدحرج واذا كان نصفا لم يرفع الا بجهد

---

(١) كيس لألف درهم

(الاعرابى المتنحنح)

تراهن اعرابيان على ان يشرب احدهما لبنا خاثرا (١) ولا يتنحنح فلما شربه آذاه . فقال : كبش املح ، وبيت افيح (٢) ، وانا فيه اتجبح . فقال اخوه : قد تنحنحت . قال : من تنحنح فلا افلح

(انتظار الشمس)

كان المرتمى مضحك الرشيد يأكل قبل طلوع الشمس فقيل له : لو انتظرت حتى تطلع الشمس . فقال : لعنى الله ان انتظرت غائبا من وراء سمر قند لادرى ما يحدث عليه فى الطريق

(المصيبة العريضة)

قال سليمان الاعمش لابنه : وكان يرمى بالغفلة ! اذهب فاشتر لنا حبلا يكون طوله ثلاثين ذراعا . فقال . فى عرض كم ؟ قال : فى عرض مصيبتى فيك

(وليمة الجرادة)

ذكروا فى كتب اليهود أن سليمان عليه السلام طلب منه الهدهد أن يشرفه بضيافته . فقال سليمان : أنا وحدى . قال : لا .

---

(١) حامضا (٢) فسيح

بل أنت فى العسكر فى يوم كذا . فلما كان يوم كذا جاء سليمان فى عسكره فطار الهدهد فصاد جرادة نخنقها ورمى بها فى البحر وقال كلوا فمن لم ينل من اللحم نال من المرقة . .

(اللحيه المنقوعه)

سأل رجلُ الشَّعبيَّ عن المسح على اللحية فى الوضوء . فقال : خللها باصابعك . فقال الرجل : اخاف الاّ تبتل جميعها . قال : فانقعها من الليل

(الثأر القديم)

قال عيسى بن عمر : ولى اعرابى البحرين فجمع يهودها . فقال : ما تقولون فى عيسى بن مريم ؟ قالوا نحن قتلناه وصلبناه . قال: فوالله لا تخرجون حتى تؤدوا ديته فاخذوها منهم

(خطبه وال)

ولى اعرابى بلدة تبّالة فصعد المنبر فقال : ان الامير ولاّنى بلدكم وإنى والله لا اوتى بظالم ولا مظلوم إلا اوجعتهما ضربا فكانوا يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يترافعون اليه

(لاحتياط فى المدح)

مدح رجل رجلا اسمه يسير فقال :

ومدح يسير فى البلاد يسير

فقيل له : إنه لا يعطيك شيئا . قال : اذا لم يعطنى قلت بيدى هكذا وضم اصابعه يعنى انه قليل

(القوس المجان)

رأى بعضهم شيخا قد انحنى . فقال ياشيخ : بكم القوس . فقال . إذ عشت اخذته بغير شىء

(القيد المفتول)

راى رجل شيخا مسنا . فقال له : ياشيخ من قيدك . قال: الذى خلفته يفتل قيدك

(الموت من الفرح)

قيل لرجل أتحب أن تموت امرأتك وكان شديد الكراهة لها . فقال : لا . قيل ولم ؟ قال أخاف ان اموت من الفرح

(فالوذ موسى)

قيل لابى الحارث جُمَيز : ماتقول فى الفالوذ . قال : وددت انها والموت اعتاجا [1] فى صدرى والله لو ان موسى لقى فرعون بفالوذ لآمن ولكن لقيه بعصا

(١) اختلطا

(القارىء برغيف)

دفعت امراة رغيفا الى قارئ يقرأ عند القبور وقالت له اقرأ عند قبر ابنى فقرأ (يوم يسبحون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر) . فقالت له : اهكذا يقرأ عند القبور ؟ قال لها : فاى شيء اردت برغيف ! اتريدين (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق) ذاك بدرهم

(الهدف السليم)

نظر بعض الحكماء الى رجل يرمى هَدَفاً[1] وسهامه تذهب يمينا وشمالا فقعد الحكيم فى وجه الهدف فقيل له فى ذلك . فقال : لم ارَ موضعا اسلم منه

(كتفونى معهم)

نظر رجل الى قوم مكتفين يساقون الى السجن . فقال : ماقصتهم ؟ فقيل له : خير . قال . اذا كان خيرا فكتفونى معهم

(الوجه القبيح)

قال رجل لآخر : كيف تجدك . قال : اجدنى متألما من دماميل خرجت فى اقبح المواضع . فقال : ماارى فى وجهك

---

(١) مرمى السهام

منها شيئاً

(التدحرج الى أعلى)

بات رجل فى دار صديق له فانتبه صاحب الدار بالليل فسمع ضحك الرجل فى اعلى المنزل فصاح به ايا فلان . قال : لبيك . قال : انت كنت فى اسفل المنزل فما الذى اصعدك إلى اعلاه . قال تدحرجت . فقال : الناس يتدحرجون من فوق الى أسفل فكيف تدحرجت انت الى فوق . قال : فمن هذا اضحك !

(عروس كالنرجسة)

جاءت دلالة الى رجل . فقالت : عندى امراة كأنها طاقة نرجس فتزوجها فاذا هى عجوز قبيحة . فقال : للدلالة فَشَشْتِنِى . فقالت : لا . والله انما شبهتها بطاقة النرجس لأن شعرها أبيض ، ووجهها أصفر ، وساقها أخضر

(الحكم على غائب)

جاء شاعران الى بعض النحاة . فقالا : اسمع شعرنا واحكم بيننا فسمع شعر أحدهما . ثم قال : الثانى أجود . فقال له الاول : فما سمعت شعره فكيف تحكم ؟ قال : ما يكون شىء أخس من هذا

(الشعر القاتل)

أنشد رجل أبا عثمان المازنى شعراً له . فقال : كيف تراه قال : أراك قد عملت خيرا بأخراجك هذا من جوفك لانك لو تركته لاورثك السُّل

الفصل الثالث

﴿ الوصف ﴾

نقلت فيه ما مرَّ بى فيما قرأته من قطع الوصف نثرا ونظما وجعلت ذلك بابا مقصورا لما أعلم من دقة الوصف وخشونة مركبه. فأردت أن أوجه نظر المتأدب اليه حتى يميزه من بين الكلام ويعلم مداخل القول فيه

(صفة الرجل الكامل)

قال ابن المقفع : كان لى أخ أعظمُ الناس فى عينى . وكان رأس ما عظّمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه . وكان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهى ما لا يجد ، ولا يُكثِر إذا وجد . وكان خارجا من

سلطان رغبته فلا تدعوه الى مؤونة [١] . ولا تستخف له رأيا ولا بدنا . وكان لا يأثر [٢] لنعمة ، ولا يستكين [٣] عند مصيبة . وكان خارجا من سلطان لسانه فلا يتكلم بما لا يعلم ، ولا يمارى [٤] فيما علم . وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يتقدم أبدا إلا على ثقة بمنفعة . وكان اكثر دهره صامتا فاذا قال بزّ [٥] القائلين . وكان ضعيفا مستضعفا فاذا جدّ الجدّ [٦] فهو الليث عاديا [٧] . وكان لا يدخل فى دعوى ، ولا يشارك فى مراء ، ولا يدلى بحجة حتى يرى قاضيا فهما وشهودا عدولا . وكان لا يلوم أحدا فيما يكون العُذرُ فى مثله حتى يعلم ما عُذرُه ؟ . وكان لا يشكو وَجَعَه إلا عند من يرجو عنده البرء ، ولا يستشير صاحبا إلا من يرجو منه النصيحة : وكان لا يتبرّم [٨] ولا يتسخط ولا يتشكى ولا يتشهّى ولا ينتقم من العدو ، ولا يغفل عن الولىّ ؛ ولا يخص نفسه بشىء دون إخوانه من اهتمامه وحيلته [٩] وقوته

---

(١) المؤونة المشقة أى لا يتكلف من أجلها حرجا ولا يرتكب محرما
(٢) أثر كفرح تفرغ للشىء والمعنى هنا فرح وعكف على التلهى بها
(٣) يذل (٤) يجادل بالباطل (٥) غلب
(٦) أى اشتد الخطب وجل (٧) مفترسا (٨) يضجر ويقلق
(٩) الحيلة التأنى للامر واعمال الرأى فيه

(الاعراب بالكعبة)

وصف طواف الاعراب بالكعبة وصلاتهم عندها من كلام ابن جبير فى رحلته

... والقوم عرب صُرَحاء جُفَاةٌ أصحاء لم تغذّهم الرقة الحضرية ولا هذبتهم المدنية ، ولا سَدّدَتْ مقاصدَهم السننُ الشرعية فلا تجد لديهم من أعمال العبادات سوى صدق النية . فهم اذا طافوا بالكعبة المقدسة يتطارحون عليها تطارُحَ البنين على الام المشفقة لائذين بجدارها ، متعلقين باستارها . فحيث تعلقت أيديهم منها تمزق لشدة اجتذابهم لها وانكبابهم عليها . فى أثناء ذلك تَصْدَع [١] ألسنتهم بادعية تتصدع [٢] لها القلوب ، وتتفجر لها الاعين الجوامد فتَصُوب [٣] . فترى الناس حولهم باسطى أيديهم ، مُؤمّنين على أدعيتهم ، متلقنين لها من ألسنتهم . على انهم مدة مقامهم لا يُتمكّن معهم من طواف ولا يوجد سبيل الى استلام الحجر . واذا فتح الباب الكريم فهم الداخلون ، فتراهم فى محاولة دخولهم يتسللون كأنهم بعض ببعض مرتبطون ، يتصل منهم على هذه الصفة الثلاثون والاربعون ، والسلاسل منهم يتبع

---

(١) تجهر (٢) تتشقق (٣) ينصب دمعها

بعضُها بعضا وربما انقصمت بواحد منهم بميل فيقع الكل لوقوعه فيشاهد الناظر لذلك مرأى يؤدّى الى الضحك

أما صلاتهم فلا يُذكر فى مضحكات الاعراب أظرف منها ، وذلك انهم يستقبلون البيت الكريم فيسجدون دون ركوع ، ويَنقرُون [١] بالسجود نقرا ، ومنهم من يسجد السجدة الواحدة ومنهم من يسجد الثنتين والثلاث والاربع ثم يرفعون رءوسهم من الارض قليلا وأيديهم مبسوطة عليها ، ويتلفتون يمينا وشمالا تلفت المُروّع [٢] ثم يسلمون أو يقومون دون تسليم ولا جلوس للتشهد وربما تكلموا فى أثناء ذلك ، وربما رفع أحدهم رأسه من سجوده الى صاحبه صاحبه وصاح به ووصّاه بما شاء ثم عاد الى سجوده . . الى غير ذلك من أحوالهم الغريبة

(وصف هياج البحر ثم سكونه) (٣)

في ليلة الاربعاء من أولها عَصَفَتْ علينا ريح هال [٤] لها

---

(١) يفعلون فعل الطائر فى نقره أى لقطه الحب

(٢) الخائف المذعور (٣) اخترنا هذا الوصف من رحلة ابن جبير لانه وصف عمد فيه الواصف الى الحقيقة فصورها اذ لم يكن يقصد بقوله أن يكون قطعة من الادب فطلق العنان للخيال والمبالغة بل هو رحالة وجهته فى كل ما يقول تقييد المشاهدة واثبات الحوادث ، ولعلك ترى ذلك ظاهرا فى دقة وصفه (٤) صار هائلا أى مفزعا

البحر ، وجاء معها مطر ترسله الرياح بقوة كأنه سهام . فعظم الخطب واشتد الكرب وجاءنا الموج من كل مكان . أمثال الجبال السائرة فبقينا على تلك الحال الليل كله ، واليأسُ قد بلغ منا مَبْلَغه . وارتجينا مع الصباح فُرْجة (١) تخفف عنا بعض ما نزل بنا فجاء النهار بما هو أشد هولا ، وأعظم كربا . وزاد البحر اهتياجا ، والآفاق سوادا . واستشرت (٢) الريح والمطر عُصُوفا حتى لم يثبت معها شراع . فلجىء الى استعمال الشرُع الصغيرة ، فأخذت الريح أحدها ومزقته وكسرت الخشبة التى ترتبط فيها الشُرُع . فحينئذٍ تمكن اليأس من النفوس وارتفعت الايدى بالدعاء وأقمنا على تلك الحال النهار كله فلما جنّ الليل فترت الحال بعض فتور وبتنا تلك الليلة مترددين بين اليأس والرجاء . فلما أسفر الصبح نشر الله رحمته وأقشعت (٣) السحب وطاب الهواء وأضاءت الشمس وأخذ البحر يسكن فاستبشر الناس وعاد الانس وذهب اليأس . والحمد لله الذى أرانا عظيم قدرته ثم تلافى الخطب بجميل رحمته ، ولطيف رأفته ، حمداً يكون كفاءً لمنّته ونعمته . . .

---

(١) انفراج وخلاص (٢) هاجت وعنفت
(٣) أقلعت وسارت

(وصف حالة الارمد)

قال أبو بكر الخوارزمي يصف نفسه في رمد أصابه رمد في عيني حصرني في الظلمة، وحبسني في الغم والغمة. وتركني أدرك بيدي ما كنت أدرك بعيني. كليل سلاح البصر قصير خطو النظر. قد ثكلت مصباح وجهي وعدمت بعضي الذي هو آثر عندي من كلي، فالابيض عندي أسود، والقريب مُبْعَد. قد خاط الوجع أجفاني؛ وقبض عن التصرف بناني. ففراغي شُغُل ونهاري ليل، وطوال ألحاظي قصار. وأنا ضرير وإن عددت في البصراء، وأمي وإن كنت من جملة الكتّاب والقراء قصّرت العلة خطوتي دوني وبناني، وقامت بين يدي ولساني..

(وصف فرس)

هو حسن التمهيس، جيّد التقويس [١]؛ وثيق القصب [٢] نقيّ العصب. يبصر بأذنيه [٣]، ويتبوّع [٤] بيديه، ويداخل برجليه. كأنه موج في لُجّة، أو سيل في حَدُور [٥]. يناهب [٦] المشي قبل أن يُبْعَث [٧]، ويلحق الارانب في الصّعوداء [٨].

---

(١) المفاصل (٢) قوى العظام (٣) كناية عن شدة سمعه حتى كأنه يسمع الاشارة (٤) يوسع خطوته (٥) مكان منحدر (٦) المناهبة السرعة والمباراة (٧) يطلق للسير (٨) العقبة الشاقة

ويجاوز جوارى الظباء فى الاستواء [١] . ويسبق فى الحدور الماء . إن عُطِيف جار [٢] ، وإن ارتمل طار ، وإذا كُلف السير أمعن وسار . وإن حُبس صفن [٣] ، وإن استوقف قطن (٤) ، وإن رعى أبَنّ (٥) فهو كما قال تأبط شرا

ويسبق وفد الريح من حيث ينتحى
بمنخرق من شدة المتدارك

(تعريف عن هارب)

طلب الحجاجُ عِمرانَ بنَ حِطّانَ فهرب وخرج من العراق كله الى الشام فكتب الحجاج الى الخليفة عبد الملك :

أما بعد فان رجلا من أهل الشقاق والنفاق كان قد أفسد على أهل العراق ، وخيّبهم بالشراية (٦) . ثم إنى طلبته فلما ضاق عليه عملى (٧) تحوّل الى الشام فهو يتنقّل فى مدائنها وهو رجل ضربٌ طُوال أفوه أزرق (٨) . . . فطُلب بهذه الصفة فقُبض عليه

---

(١) الارض المستوية (٢) أى ان ثنى عنانه زاد فى سرعته
(٣) حبس أوقف — صفن رفع رجلا ووقف على ثلاث
(٤) وقف (٥) أقام فلم يشرد (٦) الدعوة الى الخروج على السلطان والرجل شار والقوم شراة (٧) الولايه التى أتولاها واعمل فيها
(٨) ضرب خفيف اللحم ـ طوال طويل ـ أفوه واسع الفم ـ ازرق يميل لونه الى الزرقة —

(البغدادى المؤرخ يصف المصريين)

وأما اسحاؤهم فيغلب عليهم الترهل (١) والكسل وشحوب (٢) اللون وكمودته (٣) ؛ وقلما ترى فيهم مشبوب (٤) اللون ظاهر الدم . وأما صبيانهم فضاريون (٥) يغلب عليهم الدمامة وقلة النضارة ، وانما تحدث لهم البدانة والقسامة (٦) غالبا بعد العشرين . وأما ذكاؤهم وتوقد أذهانهم وخفة حركاتهم فلحرارة بلدهم الذاتية (لان رطوبته عرضية) ، ولهذا كان أهل الصعيد أخف جسوما وأجف أمزجة . والغالب عليهم السمرة ، وكان ساكنو الفسطاط الى دمياط أرطب أبدانا والغالب عليهم البياض . .

(وصف الاهرام)

وقال يصف الاهرام الثلاثة بالجيزة

وأما الاهرام الثلاثة المتحدث عنها ، المشار اليها ، الموصوفة بالعظم فثلاثة اهرام موضوعة على خط مستقيم بالجيزة قبالة (٧) الفسطاط (٨) ، وبينها مسافات يسيرة ، زواياها متقابلة نحو المشرق .

---

(١) الترهل استرخاء اللحم (٢) تغير اللون (٣) مثل شحوب
(٤) بخى حسن (٥) ضاوى صغير خلقه (٦) الحسن
(٧) تجاه (٨) مصر القديمة

واثنان منها عظيمان جدا وفى قدر واحد ، وبهما أولع الشعراء وشبهوهما بنهدين قد نهدا فى صدر الديار المصرية . وهما متقاربان جدا ومبنيان بالحجارة البيض . . وأما الثالث فينقص عنهما نحو الربع لكنه مبنى بحجارة الصوان الاحمر المتقيسط (١) الشديد الصلابة ولا يؤثر فيه الحديد الا فى الزمن الطويل ، وتجده صغيرا بالقياس الى ذينك فاذا قربت منه وأفردته بالنظر هالك (٢) مرآه وحسر (٣) الطرف عند تأمله . .

وقد سلك فى بناية الاهرام طريق عجيب من الشكل والاتقان . ولذلك صبرت على ممر الزمان ، بل على ممرها صبر الزمان . فأنك بتحريها تجد الاذهان الشريفة قد استهلكت فيها ، والعقول الصافية قد أفرغت عليها مجهودها ، والانفس النيرة قد أفاضت عليها ما عندها ، والملكات الهندسية قد اخرجتها الى الفعل مثلا (٤) هى غاية امكانها . حتى انها تكاد تحدث عن قومها وتخبر بحالهم ، وتنطق بعلومهم وأذهانهم ، وتترجم عن سيرهم وأخبارهم . وذلك أن وضعها على شكل مخروط يبتدىء من قاعدة مربعة وينتهى الى نقطة . ومن خواص الشكل المخروط أن مركز ثقله فى وسطه ، وهو يتساند على نفسه ، ويتواقع على ذاته ، ويتحامل

---

(١) الغليظ (٢) عظم عليك (٣) كل وتعب (٤) جمع مثال

بعضهُ على بعض . فليس له جهة أخرى خارجة عنه يتساقط عليها . ومن عجيب وضعه أنه شكل مربع قد قوبل بزواياه مهابّ الرياح الاربع فان الريح تنكسر سَورتها (١) عند مصادمتها الزاوية ، وليست كذلك عند ما تلقى الصَّفح (٢)

(هدم الهرم الصغير)

وقال فى ذلك أيضا :

كان الملك العزيز عثمان بن يوسف لما استقل بعد أبيه سَوّل له جَهَلة أصحابه أن يهدم هذه الاهرام فبدأ بالصغير الاحمر وهو ثالثة الاسافىّ (٣) . فأخرج اليه النقابين والحجارين وجماعة من عظماء دولته وأمراء مملكته وأمرهم بهدمه ووكّلهم بخرابه فخيّموا عندها وحَشَروا (٤) الرجال والصناع ووفروا عليهم النفقات واقاموا نحو ثمانية أشهر بخيلهم ورَجلهم (٥) يهدمون كل يوم بعد بذل الجهد واستفراغ الوُسع لحجر والحجرين ، فقومٌ من فوق يدفعونه بالاسافين والاخمال ، وقوم من أسفل يجذبونه

---

(١) شدتها (٢) الجانب والعرض (٣) الاثفية الحجر يوضع عليه القدر والقدر يوضع على اثنين ويسند الى الجبل فالجبل هو ثالثة الاثافى ويقال رماه الله بثالثة الاثافى أى بالداهية العظيمة (٤) جمعوا (٥) الرجال المشاة

بالقُلوس (١) والاشطان ؛ فاذا سقط سمع له وَجْبة (٢) عظيمة من مسافة بعيدة حتى ترجُف له الجبال وتزلزل الارض ويغوص فى الرمل ، فيتعبون تعبا آخر حتى يخرج . ثم يضربون فيه الاسافين بعد ما ينقبون لها موضعا ويبيّتونها فيه فيتقطع قطعا فتسحب كل قطعة على العجل حتى تلقى فى ذيل الجبل ، وهى مسافة قريبة . . فلما طال تواؤهم ، وَوَهَت عزائمهم ، وخارت قوائم كَفُّوا محسورين مذمومين لم ينالوا بغية ، ولا بلغوا غاية ، بل كانت غايتهم أن شوّهوا الهرم ، وأبانوا عن عجز وفشل . ومع ذلك فان الرائى لحجارة الهدم يظن أن الهرم قد استُؤصل فاذا عاين الهرم ظن أنه لم يُهدَم منه شىء ، وإنما جانب منه قد كُشط بعضه

(فرس البحر)

وقال يصف فرس البحر

هو حيوان عظيم الصورة ، هائل المنظر ، شديد البأس . يتبع المراكب فيغرقها ويهلك من ظفر به منها . وهو بالجاموس أشبه منه بالفرس لكنه ليس له قرن . وفى صوته صَهلة تشبه صهيل الفرس بل البغل . وهو عظيم الهامة هَريتُ (٣) الاشداق حديد

---

(١) جمع قلس وهو الحبل الضخم والشطن الحبل الطويل
(٢) صوت الشىء الساقط (٣) واسع

الانياب ، عريض الكلكل (١) منتفخ الجوف ؛ قصير الارجل ، شديد الوثب ، قوى الدفع مَهيب الصورة ، مَخوف الغائلة (٢)

(البطيخ العبدلى)

وقال أيضا :

قيل أنه نسب الى عبد الله بن طاهر والى مصر عن المأمون . . له أعناق ملتوية ، وقشرُه خفيف ، وطعمه مَسيخ قلما يوجد فيه حلو . وشكله شكل بَقْطين (٣) العراق الا أن لونه حسن الصفرة جدا وفى ملمسه خَراشة وتخييش (٤)

(الباميه)

وقال كذلك :

هى ثمر بقدر ابهام اليد ، كأنه جراء (٥) القِثاء ، شديد الخضرة إلا أن عليه زِئبرا (٦) مُشوّكا ، وهو مخمّس الشكل يحيط به خمسة أضلاع ، فاذا شُق انشق عن أبيات بينها حواجز ، وفى تلك الابيات حب مصطف مستدير أبيض أصغر من اللوبيا يضرب الى الحلاوة

---

(١) مقدم الصدر (٢) التعدى (٣) هو القرع
(٤) خشونة الخيش (٥) القصير الصغير
(٦) وبر

(القلقاس)

وقال :

القُلقاس أصول بقدر الخيار ومنه صغار كالاصابع تضرب الى حمرة خفيفة ، يُقشر ثم يشقق على مثل السَّلجم [١] وهو كثيف مكتنز [٢] يشابه اللوز الاخضر الفجّ [٣] فى طعمه . . أما ورقه فورق مستدير واسع على شكل خف البعير سواء . لكنه اكبر منه ويكون قطر الورقة مابين شبر الى شبرين . وهو شديد الخضرة رقيق البشرة شبيه بورق الموز فى خضرته ونعومته ورونقه ونضارته

(وصف الربيع والجدب)

قال أعرابى : باكرنا وسمىٌّ [٤] ثم خالفه ولىٌّ [٥] فالارضُ كأنها وَشىٌ [٦] منشور ، عليه لؤلؤ منثور . ثم أتتنا غيومُ جرادٍ ، بمناجل حصاد ؛ فاحترثت البلاد ؛ وأهلكت العباد . فسبحان من يهلك القوى الاكول بالضعيف المأكول

---

(١) اللفت (٢) مجتمع ممتلىء (٣) النىء (٤) الوسمي اول مطر فى الربيع (٥) الولى مايأتى بعد المطرة الاولى (٦) نقش الثوب

(وصف الحب المتبادل)

قال أعرابى : ما رأيت دمعة تترقرق [١] فى عين وتجرى على خد أحسن من عَبْرة أمطرتها عينُها فاغتَرَبَ لها قلبى

(وصف ذكى فصيح)

قال أعرابى فى رجل : كان الفهمُ منه ذا أذنين ، والجوابُ ذا لسانين ، لم أرَ أحدا كان أرْتَق (٢) لخَلَل الرأى منه

(صفة كبش هرم)

قال ابو الخطاب الصابى يتهكم بحَمَل أهدى الى ابى العباس بن سابور

رأيت كبشا متقادم الميلاد ، من نَتاج قوم عاد ؛ قد أفنته الدهور ، وتعاقبت عليه العصور . فظننتُه أحد الزوجين اللذين جعلهما نوح فى سفينته وحفظ بهما جنس الغنم لذريته ، صغُر عن الكِبَر ولطف عن القِدَم فبانت دمامته ، وتقاصرتْ قامته . وعاد ناحلا ضئيلا ، باليا هزيلا . بادى السقام ، عادى العظام . جامعا للمعايب ، مشتملا على المثالب . يعجب العاقل من حلول الحياة به ، وتأتى الحركة فيه . لانه عظم مُجَلَّد ، وصوف مُلبَّد ، لاتجد

(١) تتحرك (٢) الرتق السد والاصلاح

فوق عظامه سلبا ، ولا تلقى يدك منه الا خشبا . لو ألقى الى السَّبعُ لأباه ، لوطرح للذئب لعافه وقلاه : قد طال للكلأ فقدُه، وبعد بالمرعى عهدُه . لم يرَ القت الا نأما ، ولا عرف الشعير الا جالما . وقد خيَّرتنى بين أن أقتنيه فيكون فيه غِنى الدهر أو أذبحه فيكون فيه خِصب الرّحل فملتُ إلى استبقائه لما تعرف من محبتى للتوفير ورغبتى فى التثمير وجمعى للوله ، وادخارى للغد . فلم أجد فيه مستمتعا للبقاء ولا مِرفقا للقَناء [١] . لانه ليس بأنثى فتحمل ، ولا بفتىً فينسل ، ولا بصحيح فيَرْعَى فيكون وظيفة [٢] للعيال ، وأقيمه رَطبا مقام قديد الغزال . فأنشدنى وقد أضرمت النار ، وحُدَّتْ الشفار [٣] ، وشمِّر الجزار

أعيذها نظراتٍ منك صادقةً
ان تحسَب الشحمَ فيمن شحمُه ورمُ [٤]

وقال ما الفائدة لك فى ذبحى وانا لم يبق منى إلا نفسٌ خافت [٥] ومقلة انسانها باهت [٦] لست بذى لحم فأصلح الاكل لان الدهر قد

---

(١) مرفق منفعة ـ القناء الاستبقاء (٢) الوظيفة الرزق الجارى المرتب (٣) شحذت لتقطع والشفار جمع شفرة وهى السكين العظيم
(٤) هذا البيت من قول المتنبي يعاتب سيف الدولة . يقول : كن صادق النظر على عادتك فلا تحسب الحق باطلا ولا الورم شحما
(٥) ساكن ضعيف (٦) حائر والصواب أن يقول مبهوت

اكل لحمي ، ولا جلدى يصلح للدباغ لان الايام قد مزقت اديمى ، ولا لى صوف يصلح للغزل لان الحوادث قد حصّت [١] وَبرى . فان اردتنى للوقود فكف بعر أبقى من نارى ولن تقى حرارة جمرى بريح قتارى [٢] فلم يبق إلا ان تطلبنى بذَحل [٣] او بينى وبينك دم

فوجدته صادقا فى مقالته ناصحا فى مشورته ولم أعلم من أى أمريه أعجب أمن مماطلته للدهر بالبقاء ؟ أم صبره على الضر واللأواء [٤] أم قدرتك عليه مع أعواز مثله ، أم تأهيلك الصديق به مع خساسة قدره . ويالیت شعرى اذا كنت واليك سوق الغنم وأمرك ينفذ فى الضأن والمعز وكلُّ كبش سمين ، وحَمَل بطين ، مجلوب اليك ـ مقصور عليك ، تقول فيه قولا فلا ترد ، وتريده فلا تصد ؛ وكانت هديتك هذا الذى كأنه ناشر من القبور ، وقائم عند النفخ فى الصور !

(صفة أكول)

قال ابن هانىء الاندلسى :

يالیت شعرى إذ أُومى الى فيه

---

(١) حلقت وأزالت (٢) ريح الشواء أو القدر (٣) ثأر (٤) الشدة

أَحلقُهُ لَهَوَاتٌ أم ميادينُ (١)
كأنها وخيثُ الزاد يُضرمُها
جهنّمٌ قُذفت فيها الشياطين
تبارك اللهُ ما أمضى أسنّتَه !
كأنما كلُّ فكٍّ منه طاحونُ (٢)
أين الاسنة ام أين الصوارمُ ام
اينَ الخناجر ام اين السكاكين ؟ (٣)

(لعب الصوالجة والاكر)

قال ابو نواس يصف ذلك :

جنٌّ على جنّ وإن كانوا بشرْ
كأنما خيطوا عليها بالابرْ
أو سُمّر الفارسُ فيها فانسمَرْ
بين رياضٍ مثل مَوشيّ الحِبَرْ (٤)

---

(١) اللهوات جمع لهاة وهى فتحة الحلق (٢) أسنة جمع سن وهو الضرس (٣) الاسنة هنا جمع سنان وهو طرف الرمح . والمعنى ليست الرماح ولا السيوف ولا الخناجر ولا السكاكين بشيء اذا قرنت الى فعل أسنانه (٤) موشى منقوش . الحبر جمع حبرة كمنبة نوع من ثياب اليمن

مُكَلَّلاتٍ بِبَهارٍ وزَهَرْ
فانتدبوا فى يومِ قُرٍّ وخَصَرْ (١)
إذ ذرَّ قرنُ الشمسِ فى غبٍّ مطرْ
صوالجًا يصبو إليها من نظرْ (٢)
محنيّةً أطرافُها فيها زَوَرْ
قدَّرَها شابرُها لمَّا شبرْ (٣)
فلم يَعِبْ طولٌ ولا شانَ قِصَرْ
وقد تنادوا فترامَوا بالأُكَرْ
مُدَمَّجَةِ الأركانِ مُدْماةِ الطُّرَرْ
شدَّ صَفِيَّىْ متنِها حشوُ الشعَرْ (٤)
فليس للأفشاءِ بالجِلدِ أثرْ
يُحسِنُ تفاحًا تدلى من شجرْ (٥)

---

(١) انتدبوا طلبوا . (قر وخصر) برد شديد (٢) ذر ظهر . قرن الشمس أول شعاعها . صوالجا مفعول انتدبوا فى البيت السابق وهى جمع صولجان وهو العصا المعوجة (٣) زور اعوجاج . قدرها جعلها بمقدار . شابر قائس (٤) مدمجة محكمة متينة : مدماة حمراء كالدم . الطرر الأطراف والنهايات . الصفق الجانب . المتن الظهر . يصف الكرة بأنها متينة الاركان حمراء الاطراف مكتنزة المتن لأنها حشيت بالشعر
(٥) الافشاء الابر الغلاظ . يقول هى لشدة ادماجها لايظهر فيها

(صفة رجل)

وصف الشماخ ذا الرُّمة فى شبابه فقال : كان مدوَّرَ الوجهِ حسن الشعر جَعْده (١) أقنى (٢) أنزع (٣) خفيف العارضين أكحل (٤) حسن الضحك مفوَّها (٥) ، اذا كلمك كلمك أبلغ الناس ، يضع لسانه حيث شاء . ثم وصفه فى شيخوخته فقال : فلما كبر صار شيخا أجْنأ (٦) سقّاطا متساقطا دميما شختا (٧)

(وصف ثقيل)

قيل لاعرابى صف لنا فلانا . فقال : انه لثقيل الطلعة ، بغيض التفصيل والجملة ، بارد السكوت والحركة : قد خرج عن الاعتدال ، وذهب من ذات اليمين الى ذات الشمال (٨) يحكى ثقل الحديث المعاد ، ويمشى على القلوب والاكباد . لا أدرى كيف حملت الامانة أرضٌ وقد حملته ، وكيف احتاجت إلى الجبال بعد أن أقلته (٩) .

أثر لخياطة لجلد لانه مشدود باحكام . ويظنها الناظر وهى ساقطة تفاحا يتدلى من شجرة (١) الشعر الجعد الذى فيه التواء (٢) القنا فى الانف ارتفاع أعلاه واحد يداب وسطه وسبوغ طرفه وهو جمال فيه (٣) النزع انحسار الشعر عن جهتى الجبهة (٤) الكحل سواد منابت الاهداب (٥) واسع الفم (٦) مقبل الكاهلين على الصدر كبرا (٧) ضامر من غير هزال (٨) المراد بالذهاب من ذات اليمين الى ذات الشمال مخالفة المعتاد والخروج عن المألوف (٩) حملته

كذوجهه أيام المصائب ، وليالى النوائب ، وكأنما قربه بُعد الحبائب

(وصف الفيل)

لابى الحسن الجوهرى :

يزهو بخرطوم كمثل الصولجان يُرد ردّا(١)
متمدد كالافعوا ن تمدّه الرمضاء مُدا (٢)
أو كم راقصة تشير به الى الندمان وجدا
وكأنه برق يحركه لينفخ فيه جدا
أذناهُ مروحتان أسندتا الى النمودين خمدا
عيناه غائرتان ضيّقتا لجمع الضوء عمدا

(وصف السماء قبل المطر)

خرج اعرابى مكفوف ومعه ابنة عمه لرعى غنم لهما . فقال الشيخ : أجد ريح النسيم قد دنا فارفعى رأسك فانظرى . فقالت: أراها كأنها ربرب معزّى هزلى . قال : أرعى واحذرى . ثم قال لها بعد ساعة : انى أجد ريح النسيم قد دنا فارفعى رأسك وانظرى . فقالت : أرها كأنها بغالُ دُهمٌ (٣) تجر جلالها (٤) قال:

(١) يحرك تحريكا (٢) الافعوان ذكر الحيات . الرمضاء الحصا تسخنه الشمس (٣) جمع أدهم وهو الاسود (٤) جمع جل وهو ما تلبسه الدابة لتصان به

أرعى وأحذرى ثم مكث ساعة وقال : إنى أجد ريح النسيم . فقالت له : أراها كأنها بطن حمار أصحر (١) . فقال : أرعى واحذرى ثم مكث ساعة وأعاد لها ما يقوله . فقالت : أراها كما قال الشاعر :

دان مُسِفٌّ فويق الارض هَيدبه
يكاد يدفعه من قام بالراح (٢)

فقال لها : انجى لا أبا لك فما انقضى كلامه حتى هطلت السماء

الفصل الرابع

﴿ الكتابة ﴾

نفلت فيه فِقَرا من النثر من كلام الكتّاب السابقين فى الاغراض التى كانوا يتناولونها حتى يرى المطلع أفانين قولهم وألوان بلاغتهم ، ولأن فى النثر سهولة فى المأخذ وقدرة للمقلد على التقليد والاقتباس . وقد جمعنا فى آخر هذا الفصل بعض ما اخترناه من بلاغة الجاحظ

---

(١) أحمر فى لونه غبرة (٢) مسف قريب من الارض الهيدب السحاب المتدلى

(الكلام يغنى عن الحسام)

كتب أبو الفضل بن العميد الى بَلْكا (١) عند استصحابه على ركن الدولة :

كتابى وأنا مترجح (٢) بين طمع فيك ويأس منك ، واقبال عليك وإعراض عنك ، وإنك تُدلّ (٣) بسابق حُرمة ، وتمتُّ (٤) بسالف خدمة ، أيسرهما يوجب رعاية ، ويقتضى محافظة وعناية ، ثم تشفعهما بحديث غلول (٥) وخيانة ، وتتبعهما بأنف (٦) خلاف ومعصية ، وأدنى ذلك يحبط أعمالك ، ويمحق كل ما يرعى لك ، لا جرم أنى وقفت بين ميل اليك ، وميل عنك . اقدم رجلا لصدمك ، وأؤخر أخرى عن قصدك ؛ وأبسط يداً لاصطلامك واجتياحك (٧) ، واثنى ثانية نحو استبقائك واستصلاحك وأتوقف عن امتثال بعض الأمور فيك ضنا بالنعمة عندك ، ومنافسة فى الصنيعة لديك ؛ وتأميلا لفيئتك (٨) وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يعزُب (٩) العقل ثم يؤوب ، ويغرُب اللب ثم يثوب (١٠) ، ويذهب العزم ثم يعود ، ويفسد الحزم ثم يصلح ؛ ويُضاء الرأى

---

(١) قائد من القواد نقض طاعة ركن الدولة (٢) متردد
(٣) تبالغ فى الثقة (٤) تتصل (٥) خيانه
(٦) أمر لم يسبق له مثيل (٧) اصطلام قطع . واجتياح استئصال
(٨) رجوعك (٩) يغيب (١٠) يرجع

ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ؛ ويكدُر الماء ، ثم يصفو ؛ فكل ضيقة فألى رَخاء ، وكل غَمْرة (١) فألى انجلاء ، وكما انك أتيت من أساءتك بما لم تحتسبه (٢) أولياؤك ، فلا بدع أن تأتى من حسناتك بما لا يرتقبه أعداؤك ، وكما استمرّت بك الغفلة حتى ركبت ماركبت ، واجترمت ما اجترمت ، فلا عجب أن تنتبه انتباهة تُبصر فيها قبح ماصنعت ، وسوء مادبرت وأبرمت ، وسأجرى على رسمى (٣) فى الابقاء والمماطلة ماصلح ، وعلى الاستيناء (٤) والمطاولة ماامكن طمعا فى انابتك ، وتحكيما لحسن الظن بك ، فلست أعدم فيما أظاهره من إعذار (٥) ، وارادفه من إنذار ، احتجاجا عليك ، واستدراجا لك ، وأن يشأ الله يرشدك ويأخذ بيدك إلى اصلاحك وبسددك ، انه على كل شىء قدير .

(ومنها وقد هدده) تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابى وألمس جسدك وانظر هل يحس ، وجسّ عرقك وانظر هل ينبض ، وفتش ماانحنت عليه أضلاعك هل تجد فيه قلبك ثم قس غائب أمرك بشاهده وآخر شأنك بأوله

قال الثعالبى : بلغنى عن بلكا (وكان من آرب (٦) أمثاله انه

---

(١) شدة (٢) يقع فى حسبانهم أى ظنهم (٣) عادتى وسنتى
(٤) الانتظار والامهال (٥) التماس عذر (٦) أعقل وأحزم

كان يقول : والله ما كان حالى عند قراءة هذا الفصل إلا كما أشار اليه الاستاذ ابن العميد ولقد أغنى كتابه عن الكتائب فى عَرْك أديمى (١) واستصلاحى وردى الى الطاعة لصاحبى)

(شكرالله)

كتب رجل الى أخ له . أما بعد : فقد أصبح لنا من فضل الله تعالى مالا نحصيه ؛ ولسنا نستحى من كثرة ما نَعصيه ؛ وقد أعيانا شكره وأعجزنا حمده فما نرى ما نشكر ؟ أجميل ما نشر ، أم قبيح ما ستر ، أم عظيم ما أبلى ، أم كثير ما عفا ؟ فاستزد الله من حسن بلائه ، بشكره على جميع آلائه . . .

(كتاب مقاطعة)

كتب بعض الكتاب الى صديق يقاطعه

لما تصفحت أخلاقك وجدتها مباينة لمشاكلتى ، زائغة عن قصد (٢) طريقتى فصبرت عليها رياضة لنفسى على الصبر لمساوئ أخلاق المعاشرين ، ولعلمى بكامن العدوان فى جميع العالمين ، ولما رجوتُ من مرَمّة خصالك بما أقابلها به من التجاوز وبما أسحب على سوء آثارها من أذيال التغاضى . وأنت مع ذلك دائب لاتقوّم

(١) كناية عن الاذلال والاخضاع (٢) اعتدال

اعوجاج مذهبك ، ولا يعطف بك الرأى الى رُشدك . فلما فنيت حيلتى فيك وانقطعت أسباب أملى منك ، ورأيت الدّاء لا يزيد على التعهد بالدواء الافسادا ، والخَرْقَ على الترقيع إلا اتساعا قدمت اليأس منك على الرجاء فيك . واحتسبت (١) أيامى السالفة فى إصلاحى لك . . .

(استبطاء المكاتبة)

كتب رجل الى صديق له : تأخرت عنى كتبك تأخرا ساء له ظنى ، اشفاقا (٢) من الحوادث عليك لا توهما للجفاء منك ، إذ كنت أثق من مودتك بما يغنينى عن معاتبتك . .

(التماس ميعاد)

كتب بعض الكتّاب الى صديق له : إن رأيت أن تجرّد لى ميعاداً لزيارتك أتوق (٣) به الى وقت رؤيتك ، ويؤنسنى الى حين لقائك فعلتَ . . . فأجابه معتذرا

أخاف أن أعدَك وعداً يعترض دون الوفاء به ما لا أقدر على دفعه ، فتكون الحسرَة أعظم من الفُرقة

---

(١) نويت وجه الله (٢) خوفا (٣) أشتاق

(فى الثناء)

كتب رجل الى محمد عبد الله يمدحه . . .

ان من النعمة على المثنى عليك الا يخاف الافراط (١) ، ولا يأمن التقصير ، ولا يحذر أن تلحقه نقيصة الكذب ؟ ولا ينتهى من المدح الى غاية إلا وجد من فضلك عونا على تجاوزها . ومن سعادة جدك (٢) أن الداعى لك لايعدم كثرة المؤمنين (٣)

(فى المدح أيضا)

رأيتنى فيما أتعاطاه من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر المضىء الزاهر ، الذى لايخفى على ناظر . وأيقنت أنى حيث أنتهى من القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية . فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ، ووكلتُ (٤) الاخبار عنك الى علم الناس بك

(فى الاستعفاء)

كتب جعفر بن محمد بن الأشعث الى يحيى بن خالد يستعفيه من العمل . .

شكرى لك على ما أريد الخروج منه شكر من نال الدخول فيه

---

(١) الاسراف (٢) حظك (٣) القائلين آمين (٤) تركت

(كتاب عزل ١)

أراد الرشيد أن يعزل الفضل عن الخاتم ويقلده جعفرا أخاه فأمر جعفرا أن يكتب الى أخيه فى ذلك فكتب اليه . .

رأى أمير المؤمنين أن ينقل الخاتم من يمينك الى شمالك . فكتب اليه الفضل

ما نقلت عنى نعمة صارت اليك ولا خصتك دونى

(سيرة وال)

كتب الوليد بن عبد الملك الى الحجاج يأمره أن يكتب اليه بسيرته فكتب اليه

إنى أيقظت رأيى وأنمت هواى فأدنيت السيد المطاع فى قومه وواليت المجرب الحازم فى امره وقلدت الخراج الموفر لامانته وقسمت لكل خصم من نفسى قسما ، أعطيه حظا من لطيف عنايتى ونظرى ، وصرفت السيف الى النطيف (٢) المسىء ، والثواب الى المحسن البرىء ، فخاف المريب (٣) صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب . . .

---

(١) فصل من عمل (٢) الملطخ بالعيب (٣) المتهم

(كتاب تهديد)

كتب رجل الى آخر : أتعيرنى وأنا وأنا . . والله لأزرّنّ(١) عليك الفضاء ولأبغضنّ اليك لذيذ الحياة ولا حبينّ اليك كريه الموت . ما أظنك تربع على ظلمك (٢)، وتقيس شبرك بفترك(٣) حتى تذوق وبال أمرك ، فتعتذر حين لاتقبل المعذرة وتستقيل حين لاتُقال العثرة

(أسلوب عجيب)

ابتدع بديع الزمان فيما ابتدع ذلك الاسلوب الذى كتب به رسالته الآتية فكان قدوة للبلغاء بعده . وتحليل هذا الاسلوب أن يأتى بفقرة من قوله ثم يتممها بشطر من بيت شعر مشهور قال :

أنا لقرب دار مولاى (كما طرب النشوان مالت به الخمر) ومن الارتياح الى لقائه (كما انتفض العصفور بلله القطر) ومن الامتزاج بولائه (٤) (كما التقت الصهباء (٥) والبارد العذب) ومن الابتهاج بمزاره (كما اهتز تحت البارح(٦) الغصن الرطب)

---

(١) اضيقن (٢) تنهض بضعف — تقيس شبرك بفترك أى أنه يقيس بالفتر ما يقاس بالشبر والمراد لاتمهل حتى تذوق عاقبة عملك . الشبر طول ما بين طرف الابهام والخنصر — الفتر ما بين طرف الابهام والسبابة

(٤) محبته (٥) الخمر (٦) الريح الحارة فى الصيف

(دعوة الى مجلس)

كتب أبو العباس الغسّاني :

سر الى مجلس يكاديسيرشوقااليك ، ويطيربأجنحة جواه (١) حتى يحل لديك فللّه كماله ان طلعتَ بدرا بأعلاه ، وجمالُه ان وضحتَ (٢) غرة بمُحياه ، فهو أفق قد حوى نجوماتتشوّف الى طلوع بدرها لتقتبس منه ، وقُطر قد اشتمل على أنهار تتشوق الى بحرها لتستمد منه ، وتأخذ الزيادة عنه فان منعت بالحضور . والإفيا خيبة السرور

(كتاب استنجاد)

لما أصاب أهل مكة سنة ثمان ومائتين السيل الذى شارف الحجر الاسود ومات تحت هدمه خلق كثير كتب عبدالله بن الحسن العلوى وهو والى الحرمين الى المأمون :

يا أمير المؤمنين ان أهل حرم الله وجيران بيته والألاّف (٣) مسجده وعَمَرة بلاده قد استجاروا بفيء (٤) معروفك من سيل تراكمت أحداثه فى هدم البنيان ، وقتل الرجال والنسوان ، واجتياح

(١) الجوى الهوى الباطن (٢) ظهرت واضحا
(٣) جمع آلف بمعنى أليف (٤) ظل

الاموال ؛ وجرف [١] الامتعة والاثقال حتى ما ترك طارفا ولا تالدا [٢] يُرجَع اليهما فى مطعم أو ملبس. قد شغلهم طلب الغذاء ، عن الاستراحة الى البكاء ، على الامهات والاولاد ، والآباء والاجداد ، فأجرهم ياأمير المؤمنين بعطفك عليهم ، واحسانك اليهم ، تجد الله مكافئك عنهم ، ومثيبك عِزّ الشكر لك منهم

(كتاب شفاعة وتعريض)

كتب عمرو بن مسعدة الى المأمون يستشفع لرجل يرجو الزيادة فى عطائه فكتب وجعل فى قوله تعريضا عن نفسه

أما بعد فقد استشفع بى فلان يا أمير المؤمنين لتطوّلك [٣] فى إلحاقه بنظرائه فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين . وفى ابتدائه [٤] بذلك تعدّى طاعته والسلام

(فى الشوق)

كتب أديب الى آخر اشتاق الى قربه

قربُك أحب الىّ من الحياة فى ظل اليسر والسعة ، ومن طول البقاء فى كَنَف الخفض والدّعة . ومن إقبال الحبيب . مع

---

(١) الجرف الكسح والذهاب بالشىء كله (٢) الطارف الجديد والتالد القديم (٣) تفضلك (٤) أى أن ابتدائه انا بالرجاء من قبل أن يجعل لى هذه المنزلة

إدبار الرقيب ، ومن شمول الخصب ، بعد عموم الجدب ، وأقرّ لعيني من الظفر بالبُغية ، بعد إشرافي على الخيبة . وأسرّ لنفسي من الأمن بعد الخوف ، والانصاف بعد الحَيْف . واسأل الله أن يطيل بقاءك ويديم نعماءك ، ويرزقني عدلك ووفاءك ، ويكفيني نبُوّك وجفاءك

(تلافي النزاع)

وقع بين الحسين وأخيه محمد بن الحنفية لِجاء [١] فمشى الناس بينهما فكتب اليه محمد :

أما بعد فان أبي وأباك علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمي امرأة من بني حنيفة وأمك فاطمة الزّهراء بنت رسول الله . فلو مُلئت الارض بمثل أمي لكانت أمك خيراً منها . فاذا قرأت كتابي هذا فاقدَم [٢] الىّ حتى تترضاني فانك أحق بالفضل مني والسلام

(تلهب الشوق)

كتب علي بن هشام الى اسحق بن ابرهيم الموصلي

لا أدري كيف اصنع ؟ أغيب فأشتاق ، وألتقي فلا أشتفي .

---

(١) منازعة (٢) قدم كفرح أقبل

ثم يحدث لى اللقاء نوعا من الحُرقة للوعة الفرقة

(فضل الغناء)

قال احمد بن عبد ربه فى مقدمة كتاب الالحان

وبعد فهل خلق الله شيئا أوقع بالقلوب واشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لاسيما اذا كان من وجه حسن . وهل على الارض رعديد [١] مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير

قل للجبان اذا تأخر سَرجُه [٢]

هل أنت من شَرَك [٣] المنية ناجى

إلا ثاب اليه رُوحه وقوى قلبه . أم هل على الارض بخيل تقنَّعت [٤] أطرافه لؤما [٥] ثم غنى بقول حاتم الطائى

يرى البخيل سبيل المال واحدة

إن الكريم يرى فى ماله سبلا

إلا انبسطت انامله ، ورَشحَت أطرافه [٦] . أم هل على الارض غريب نازح الدار بعيد المحل يغنى بشعر على بن الجَهم

ياوحشتا للغريب فى البلد النازح ماذا بنفسه صنعا

---

(١) شديد الجبن ترتعد فرائصه فزعا (٢) السرج ما يكون على الفرس للركوب والمراد هنا الفرس نفسه مجازا (٣) مصيدة (٤) تشنجت وشلت (٥) بخلا (٦) كناية عن الجود

فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعا
يقول فى نابه وغربته عدل من الله كل ماصنعا
الا انقطعت كبده حنينا الى وطنه وتشوقا الى سكنه

« ثناء »

قال ابو بكر الخوارزمى يذكر معروف رجل

قد أراحنى فلان بره . لا بل انعبنى بشكره . وخفف ظهرى من ثقيل المحن ، لا بل ثقله باعباء المنن . وأحيانى بتحقيق الرجاء لا بل أماتنى بفرط الحياء فانا له رقيق بل عتيق . واسير طليق

« تعزية عن انهدام بيت »

وله أيضا

بلغنى ذكر الهدّة فالحمد لله الذى هدّم الدار ، ولم يهدم المقدار . وثلم (١) المال ، ولم يثلم الجمال . وسلط الحوادث على الخشب والنشب (٢) ، ولم يسلطها على العرض والحسب ، ولا على الدين والأدب ، ولا بدللنسمة من عوذة (٣) ، ولا بد لعين الكمال من رقية . ولا أن يكون فى دار تبنى ، ومال يجبر ويغنى . خير من

---

(١) ثلم السيف كسر حروفه والمراد هنا شوهه ونقصه
(٢) المال من ناطق وصامت (٣) العوذة الرقية والمراد هنا شىء يشوهها حتى يمنع عنها العين

أن يكون فى النفس التى لا جبر لكسرها ، ولانهاية لقدرها

« مدح الفقر »

وله ايضا :

انما يكره الفقر لما فيه من الهوان ، ويستحب الغَنَاء (١) لما فيه من الصِّيان (٢) فاذا نبغ الغم من تربة الغنى فالغنى هو الفقر ، واليسر هو العُسر . لا بل الفقير على هذه القضية احسن من الغنىّ وأقل منه اشغالا ، لان الفقير خفيف الظهر من كل حق ، منفك الرقبة من كل رق ، فلا يستبطئه إخوانه ، ولا يطمع فيه جيرانه . ولا تنتظر فى الفطر صدقته ، ولا فى النحر اضحيَّته (٣) ، ولا فى شهر رمضان مائدته . ولا فى الربيع باكورته (٤) . ولا فى الخريف فاكهته . ولا فى وقت الغَلة شعيره وبُرّه . ولا فى وقت الجباية خراجه وعُشره . لانما هو مسجد يحمل اليه ولا يحمل عنه . تتجنبه الشُّرَط نهارا . ويتوقاه العسَس (٥) ليلا فهو إما غنم وإما سالم . وأما الغنىّ فانما هو كالغَنَم غنيمة لكل يد سالبة وصيدٌ لكل نفس طالبة . وطَبَق (٦) على شوارع النوائب

---

(١) الغنى (٢) الصون (وفى الاصل الصوان) (٣) ذبيحة العيد (٤) أول الفاكهة (٥) جنود الليل (٦) ما يوضع عليه الاكل والمعنى من الجملة انه يقصد فى النوائب

وعَلم منصوب فى مدرجة (١) المطالب . تطمع فيه الاخوان ويأخذ منه السلطان ويُنتظر فيه الحدثان (٢) ويخيف ملكه النقصان

(فى الشوق)

وكتب مشتاقا

اليوم طلق والهواء رطب . والماء عذب . والبستان رحب . والسماء مُصحية والريح رُخاء (٣) . فأين سيدى فلان . أشهد ما اليوم جميلا . ولا الظل ظليلا . ولا الماء يُبرد غليلا (٤) . ولا النسيم يشفى عليلا . وأقسم ما الروض إلا ثقيل . والانس إلا دخيل (٥) . والدهر إلا بخيل . وفى ذلك يقول

وإنى لتعرونى لذكراك هِزَّة
كما انتفض العصفور بلله القطر

وليس الشوق الى مولاى بشوق إنما هو وقع السهام ولا الصبر عن لقياه بصبر إنما هو كأس الحمام . وما للهم ، سلطان هذا الهم . ولا للخمر ، طغيان هذا الامر

« فى الشوق أيضا »

وقال البديع ايضا

---

(١) مسلك (٢) الحوادث (٣) لينة (٤) عطشا (٥) غريب

أراني أذكر الشيخ كلما طلعت الشمس ، أو هبت الريح . أو تجمّ النجم ، أو لمع البرق . أو عرض الغيث [١] ، أو ذكر الليث أو ضحك الروض . اذ للشمس مُحَيّاه ، وللريح ريّاه [٢] . وللنجم حُلاه وعلاه ؛ وللبرق سناؤه وسناه [٣] . وللغيث يداه ونداه ، وللبث حماه . وللروض سجاياه ، ففي كل صالحة ذكراه . وفي كل حادثة أراه ، فمتى انساه . واشدة ثوقاه ، عسى الله أن يجمعني واياه

(تعزية وتحذير من اخوان السوء)

ومن قوله

العزاء عن الاعزة رُشد كانه الغيّ . وقد مات الميت فليحي الحي . اشدد على مالك بالخمس . فانت اليوم غيرك بالامس . كان ذلك الشيخ وكيلك يضحك ويبكي لك . وسيعجم [٤] الشيطان الآن عُودك فان استلانك رماك بقوم يقولون : خير المال ما ائتلف بين الشراب والشباب . وانفق بين الحباب [٥]

---

(١) ظهر واقبل السحاب (٢) ريحة الطيبه (٣) السنا مقصورا وممدودا الضوء أو الشرف (٤) يعض والمراد يختبر (٥) فقاقيع الماء والمراد هنا الخمر لانها هي التي تكون فيها الفقاقيع عادة اذا مزجت بالماء

والاحباب . والعيش بين القِداح . والاقداح [١] ولولا الاستعمال ما أُريدَ [٢] المال . فان أطعمتهم فاليومَ فى الشراب . وغدا فى الخراب . واليوم واطربا للمكاس؟ وغدا واحَربا [٣] من الافلاس. يامولاى ذلك المسموع من العود يسميه الجاهل نَقْرا ، ويسميه العاقل عَقْرا . وذلك الخارج من الناى هو اليوم فى الآذان زَمر. وغدا فى الابواب سَمَر . والعمر مع هذه الآلات ساعة ، والقنطار فى هذا العمل أقل بضاعة

(أبلغ تعزية)

أصيب على بن موسى بمصيبة فصار اليه الحسن بن سهل فقال إنا لم نأتك معزين بل جئناك مقتدين فالحمد لله الذى جعل حياتكم للناس رحمة ومصائبكم لهم قدوة

(الى مريض)

كتب ابن المعتز الى عليل : آذن الله فى شفائك ، وتلقّى داءك بدوائك ، ووجّه وفد السلامة اليك ، وجعل علّتك ماحية لذنوبك مضاعفة لثوابك

---

(١) القداح جمع قدح كملح السهم والمراد ما يلعب به الميسر . الاقداح جمع قدح كقمر وهو الاناء يروى الرجلين والمراد ما يشرب فيه الخمر

(٢) طلب (٣) الحرب السلب

(حسن المحضر)

كتب الحسن بن وهب يشكر لرجل بلغه عنه أنه ذكره بخير في بعض مجالسه : بلغنى حسن محضرك ، فغيرُ بديع من فضلك ولا غريب عندى من برّك ، بل قليل اتصل بكثير ، وصغير لحق لكبير حتى اجتمع فى قلب وُطّن لمودتك : وعُنُقٍ ذُلّلت بطاعتك ، ونفس طبعت على مرُاضاتك . وليس أكثر سُؤلها وأعظم أربها إلا طول مدتك والسلام

بلاغة الجاحظ (١)

---

(١) هو ذو العقل الفياض ، والذكاء الوقاد ، والروح الخفيف ، والطبع الظريف . والنادرة ، البادرة . والذاكرة ، الحاضرة . والحفظ الشامل ، وعلم الاواخر والاوائل . والنفس الأطول ، والقلم الاجول . والقول ، ذى الصول . والنقد المزين ، والحكم المنصف . الخبرة ، مقرونة الى العبرة . والرأى المتبوع ، فى كل موضوع . والتأليف المفيد ، والبحث المستفيض . .

عاش قرابة مائة ، وألف زهاء مائة . ومات سنة ٢٥٥

ومن آثاره البيان والتبيين ، والحيوان . والمحاسن والاضداد . والبخلاء . والرسائل

﴿ من قوله فى كتاب الحيوان ﴾

(١)

(وصف ما بين القط والفار)

ولا أعلم فى الارض شيئاً أقصر ذماء [١] ولا أضعف ميتة ولا أحذر أن يُقتل من الفأر . وبلغ من تحرّزه واحتياطه أن يسكن السقف فربما فاجاه السِّنورُ وهو يريد أن يعبر الى بيته والسنور فى الارض والفأرة فى السقف ولو شاءت أن تدخل بيتها لم يكن للسنور عليها سبيل فتتحير ، فيقول السنور بيده كالمشير ليساره ارجع فاذا رجعت أشار بشماله أن عد فتعود . وإنما يطلب أن تعيا وتزلق ، ولا يفعل ذلك بها ثلاث مرات حتى تسقط على الارض فيثب عليها فاذا وثب عليها لعب بها ساعة ثم اكلها وربما خلى سبيلها وأظهر التغافل عنها فتسمن فى الحرب فاذا ظنت أنها نجت وثب عليها وثبةً فأخذها فلا يزال كذلك كالذى يحب أن يسخر بصاحبه وأن يخدعه وأن يأخذه أقوى ما كان طمعا فى السلامة ، وأن يورثه الحسرة والاسف وأن يلذ بتنغيصه وتعذيبه

---

(١) بقية الروح

(٢)

(طبيعة الحمام)

قال يصف طبيعة الحمام فى القيام على بيضه وتربية أفراخه :

إذا علم الذكر أنه قد أودع الانثى مايكون منه الولد تقدما فى إعداد العش ونقل القصب وتشقيق الخوص وأشباه ذلك من العيدان الخُور [١] الرقاق حتى يعملا الخوص واشباه ذلك وينسجاه نسجا مداخلا وفى الموضع الذى قد اتخذاه واصطنعاه بقدر جثمان الحمامة ثم أشخصا لتلك الاخوصة حروفا غير مرتفعة لتحفظ البيض وتمنعه من التدحرج ولتكون رِفدا [٢] لصاحب الحضن وسندا للبيض ثم يتعاوران ذلك المكان ويتعاقبان ذلك الغرموص وتلك الاخوصة يسخنانها ويدفيانها أو يطبانها وينفيان عنها طباعها الاول ويحدثان لها طبيعة أخرى مشتقة من طبائعهما ومستخرجة من رائحة ابدانهما وقواهما الفاصلة من ارحامهما مع الحضانة لئلا تنكسر البيضة بيُبس الموضع ولئلا تنكر طبائعها طباع المكان وليكون على مقدار من البرد والسخانة والرخاوة والصلابة . ثم ان إضربها المخاض [٣] وطرّقت ببيضتها ففصلت ارحامها بدرت الى الموضع

(١) جمع أخور وهو الضعيف (٢) عونا ومساعدا
(٣) طلب الوضع

الذى قد أعدته وتحامات الى المكان الذى اتخذته وصنعته إلا أن يفزعها رعد قاصف أو ريح عاصف فانها ربما رمت بها دون كنها وظل عشها وبغير موضعها الذى اختارته والرعد ربما مرق (١) عنده البيض وفسد كالمرأة التى تسقط من الفزع ويموت جنينها من الرّوع وإذا وضعت البيض فى ذلك المكان فلا يزالان يتعاقبان الحضن ويتعاورانه حتى اذا بلغ ذلك البيض مداه وانتهت أيامه وتم ميقاته الذى وظفهُ (٢) خالقه ودبره صاحبه انصدع البيض عن الفرخ فخرج عارى الجلد صغير الجناح قليل الحيلة منسد الحلقوم فيعينانه على خلاصه من بيضه وترويحه من ضيق هوانه وهما يعلمان ان الفرخين لاتتسع حلوقهما فلا يكون لهما عند ذلك تمّ إلا ان ينفخا فى حلوقهما الريح لتتسع الحوصلة بعد التحامها وتنفتق بعد ارتتاقها (٣) ثم يعلمان ان طبع حواصلهما يضعف عن استمراء الغذاء وهضم الطعم وان الحوصلة تحتاج الى دبغ وتقوية وتحتاج الى أن يكون لها بعض المتانة والصلابة فيأكلان من صدوع أصول الحيطان وهى شىء بين الملح والحمض وبين التراب الخالص فيزقان الفرخ حتى اذا علما انه اندبغ واشتد زقاه بالحب الذى هو أقوى وأطرى فلا يزالان يزقانه بالحب والماء على مقدار قوته

(١) خرج (٢) رتبة (٣) التحامها

ومبلغ طاقته وهو يطلب ذلك منهما ويبص (١) نحوهما حتى إذا علما انه قد أطاق اللقط منعاه بعض المنع ليحتاج الى اللقط فيتعوده. حتى اذا علما أن ذاته قد تمت وأن أسبابه قد اجتمعت وأنهما ان فطماه فطما مقطوعا مجذوذا قوى على اللقط وبلغ لنفسه منتهى حاجته ضرباه إذا سألهما الكفاية (٢) ونفياه متى رجع اليهما ثم تنزع تلك الرحمة العجيبة منهما له وينسيان ذلك العطف المتمكن عليه ويذهلان عن تلك الاثرة (٣) والكد المضنى من الغدو عليه والرواح اليه

(٣)

(فضل الكتب)

وقال فأبدع ما شاء الله أن يبدع :

الكتاب نعم الذخر والعُقْده (٤) ، والجليس والعُمده (٥) ونعم النشرة (٦) والنزهة ، ونعم المشتغل والحرفة ، ونعم الانيس

---

(١) أبص حرك ذنبه والمراد تحرك ودنا (٢) أى ان يكفياه مؤونته

(٣) الحب وأصل الاثرة حب فجعلها الجاحظ فى قوله حب الابن

(٤) أى ان الكتاب كأنه فى النفع عقار يغل لصاحبه الرزق

(٥) المعتمد عليه (٦) رقية يعالج بها المجنون والمريض أى أن الكتاب ذاهب بالآلام والاوجاع

ساعة الوَحْدة ، ونعم المعرفة ببلاد الغربة ، ونعم القرين والدخيل [١] والزميل ، ونعم الوزير والنزيل ، والكتاب وعاء مُلِيء علما وظَرْف حُشِي ظَرفا [٢] وأناء شحِن مزاحا . إن شئت كان أعيا من باقل [٣] ، وإن شئت كان أبلغ من سَحْبان [٤] وائل ، وإن شئت سرَّتك نوادره ، وشجَّتك مواعظه ، ومن لك بواعظ مُلْهٍ وبناسك فاتكٍ وناطق أخرس ، ومن لك بشيء يجمع الاول والآخر ؛ والناقص والوافر ، والشاهد والغائب ، والرفيع والوضيع ، والغثّ والسمين ، والشكل وخلافه ، والجنس وضده وبمدفما رأيت بُستانا يحمل فى رُدْن ؛ وروضة تنقل فى حجر ، ينطق عن الموتى ، ويترجم عن الاحياء ؛ ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى ؛ آمن من الارض وأكتم للسر من صاحب السر ، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة ، ولا أعلم جارا آمن ، ولا خليطا أنصف ، ولا رفيقا أطوع ؛ ولا معلما

---

(١) الصديق المداخل الملاصق (٢) ظرف الاولى بمعنى وعاء والثانية بمعنى الكياسة (٣) عربى كان شديد العى حتى ضرب به المثل وقد روينا فى الفكاهات حكاية له تدل على ذلك (٤) خطيب عربى مشهور كان فى أيام بنى أمية خطب فى مجلس معاوية من الظهر حتى حانت صلاة العصر ما أعاد حرفا ولا معنى

أخضع ، ولا صاحبا أظهر كفاية وعناية ، ولا أقل إملالا ولا إبراما ، ولا أبعد من مراء [١] ؛ ولا اترك لشغب ؛ ولا أزهد فى جدال ، ولا أكف عن قتال ، من كتاب . . ولا أعلم قرينا أحسن مؤاتاة [٢] . ولا أعجل مكافاة . ولا شجرة أطول عمرا . ولا أطيب ثمرا ولا اقرب مجتنى . ولا أسرع إدراكا . ولا أوجد فى كل إبان ، من كتاب . . ولا أعلم نتاجا فى حداثة سنه وقرب ميلاده ، ورخص ثمنه وإمكان وجوده ، يجمع من السير العجيبة ، ، والعلوم الغريبة ، وآثار العقول الصحيحة ، ومحمود الاذهان اللطيفة ، ومن الحكم الرفيعة ، والمذاهب القديمة ، والتجارب الحكيمة ، والاخبار عن القرون الماضية ، والبلاد النازحة ، والامثال السائرة ، والامم البائدة مايجمعه كتاب . . ومن لك بزائر إن شئت كانت زيارته غبا ، ووردُه خمسا [٣] ، وإن شئت لزمك لزوم ظلك ؛ وكان منك كبعضك . . . والكتاب هو الجليس الذى لا يُطريك . والصديق الذى لا يقليك [٤] ، والرفيق الذى لا يملّك . والمستمع الذى لا يستزيدك . والجار الذى لا يستبطئك . والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملق . ولا يعاملك بالمكر . ولا

---

(١) جدال بالباطل (٢) مجازاة (٣) الخمس الشرب بعد كل خمسة أيام وقد سبق شرح ذلك (٤) يكرهك

يخدعك بالنفاق . . والكتاب هو الذى إن نظرت فيه أطال إمتاعك. وشحذ طباعك . وبسط لسانك . وجوّد بيانك . وفخّم ألفاظك ويجّح [١] نفسك . وعمّر صدرك . ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك . يطيعك بالليل طاعته بالنهار . وفى السفر طاعته فى الحضر وهو المعلم إن افتقرت اليه لم يحقرك . وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة . وإن عُزلتَ لم يَدَع طاعتك . وإن هبّت ريح اعدائك [٢] لم ينقلب عليك . ومتى كنت متعلقا منه بأدنى حبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء . . . وإنّ أمثل [٣] ما يقطع به الفُرّاغ نهارهم . واصحاب الكفايات [٤] ساعات ليلهم نظر فى كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد فى تجربة وعقل ومروءة . وصون واصلاح دين وتثمير مال . ورَبّ [٥] صنيعة وابتداء انعام . ولو لم يكن من فضله عليك واحسانه اليك الا منعه لك الجلوس على بابك والنظر الى المارة بك . مع ما فى ذلك من التعرض للحقوق التى تلزم ، ومن فضول النظر ، وملابسة صغار الناس . ومن حضور ألفاظهم الساقطة . ومعانيهم الفاسدة . وأخلاقهم

---

(١) فرح (٢) أى قامت دولتهم (٣) افضل
(٤) من عندهم ما يكفيهم فلا يحتاجون الى العمل (اصحاب الايراد)
(٥) رب الصنيعة تتميم المعروف والزيادة فيه

الرديَّة . وجهالتهم المذمومة لكان فى ذلك السلامة والغنيمة . واحراز الاصل مع الاستفادة من الفرع . ولو لم يكن فى ذلك إلا انه يشغلك عن سَخف المنى واعتياد الراحة . وعن اللعب وكل ما تشتهيه . لقد كان له فى ذلك على صاحبه أسبغ النِّعم وأعظم المنة . .

(٤)

(العالم الصغير)

أَمَا علمت ان الانسان الذى خُلقت السموات والارض من اجله انما سموه العالم الصغير سليل العالم الكبير لما وجد وافيه من جَمع اشكال ما فى العالم الكبير . ووجدوا له الحواس الخمس ووجدوا فيه المحسوسات الخمس ووجدوه يأكل اللحم والحب ويجمع بين ماتقتاته البهيمة والسبع . ووجدوا فيه صولة الجمل . ووثوب الاسد . وغدر الذئب . وروغان الثعلب . وجبن الصِّفْرِد . وجمع الذرَّة . وصَنْعَة السُّرْفة [١] . وجود الديك . وإلف الكلب : واهتداء الحمام . وربما وجدوا فيه مما فى البهائم والسباع خلقين او ثلاثة ولا يبلغ ان يكون جملا بأن يكون فيه اهتداؤه

---

(١) السرفة دويبة تتخذ بيتا من دقاق العيدان فتدخله وتموت فيه ومنه المثل (اصنع من السرفة)

وغيرته وسهولته وحقده وصبره على حمل الثقل . ولا يلزم شبه الذئب بقدر مايتهيأ فيه من مثل غدره ومكره واستراحه وتوحشه وشده نُكْرِه [١] . كما ان الرجل يصيب الرأى الغامض المرة والمرتين والثلاث ولا يبلغ ذلك المقدار ان يقال له داهية وذو نُكر أو صاحب بَزْلاء [٢] . وكما يخطىء الرجل فيفحش خطؤه فى المرة والمرتين والثلاث فلا يبلغ ان يقال له غبى وأبله ومنقوص .

وسموه العالم الصغير لانهم وجدوه يصور كل شيء بيده ، ويحكى كل صوت يعيه . وقالوا ولان أعضاءه مقسومة على البروج الاثنى عشر والنجوم السبعة . وفيه الصفراء وهى من نتاج النار . وفيه السوداء وهى من نتاج الارض وفيه الدم وهو من نتاج الهواء . وفيه البلغم وهو من نتاج الماء وعلى طبائعه الاربع وضعت الاوتاد الاربعة فجعلوه العالم الصغير اذ كان فيه جميع اجزائه واخلاطه وطبائعه . الا ترى ان فيه طبائع الغضب والرضا ، وآلة اليقين والشك ، والاعتقاد [٣] والتمنى . وفيه طبائع الفطنة والغباوة ، والسلامة والنُكْر ، والنصيحة والغش ، والوفاء والغدر ، والرياء والاخلاص ، والحب والبغض ، والجد والهزل ، والبخل والجود ،

---

(١) دهائه (٢) شدائد (٣) الضمان او الامتلاك وهو كما ترى ضد التمنى

والاقتصاد والسرف ، والتواضع والكبر ، والانس والوحشة ، والفكرة والامهال ، والتميز والخبط ، [١] ، والجبن والشجاعة ؛ والحزم والاضاعة ، والتبذل [٢] والتعزز ، والادخار والتوكل ، والقناعة والحرص ، والرغبة والزهد ، والسخط والرضا ، والصبر والجزع ، والذكر والنسيان ، والخوف والرجاء ، والطمع واليأس ، والتنزه والطَّبَع [٣] ، والشك واليقين ، والحياء والقحة ؛ والكتمان والاشاعة ، والاقرار والانكار ، والعلم والجهل ، والظلم والانصاف ، والطلب والهرب ، والحقد وسرعة الرضا ، والحدة وبُعد الغضب ، والسرور والهم ، واللذة والالم ، والتأميل والتمنى ، والاصرار [٤] والندم ، والعى والبلاغة ؛ والنطق والخرس ، والتصميم والتوقف ، والتغافل والتفاطن ، والعفو والمكافأة ، والاستطاعة . والطبيعة ومالا يحصى عده ، ولا يعرف حده

(المؤلف) يجب ان يتنبه القارىء الى مافى هذه القطعة من طول النفس وبسطة اللسان وقوة الملكة فى الاحاطة بالاضداد والتفرقة بين المتشابه فأن فيها من ذلك ثروة طائلة

---

(١) الضلال (٢) التساقط (٣) التدنس
(٤) عقد النية

(٥)

(حكمة الخالق فى الحيوان المؤذي)

كأنك فهمك الله تظن أن خلق الحية والعقرب والتدبير فى خلق الفراش والذباب والحكمة فى خلق الذئاب والأسد وكل مبغض اليك او محقر عندك أو مسخر لك او واثب عليك أن التدبير فيه مختلف او ناقص وان الحكمة فيه صغيرة او ممزوجة

(اعلم) ان المصلحة فى أمر ابتداء الدنيا الى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر والضار بالنافع والمكروه بالسار ، والضعة بالرفعة ، والكثرة بالقلة ، ولو كان الشر صرفا هلك الخلق او كان الخير محضا سقطت المحنة [١] وتقطعت اسباب الفكرة . ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة ومتى ذهب التخيير ذهب التميز ولم يكن للعالم تثبت ولا توقف وتعلم . ولم يكن علم ، ولا يعرف باب التدبير ولا دفع المضرة ولا اجتلاب المنفعة ولا صبر على مكروه ولا شكر على محبوب ولا تفاضل فى بيان ولا تنافس فى درجة . وبطلت فرحة الظفر وعز الغلبة ولم يكن على ظهرها [٢] محق يجد عز الحق ، ومبطل يجد ذل الباطل ، وموفق يجد برد اليقين

---

(١) الابتلاء والاختبار (٢) أى الارض

وشاك يجد نقص الحيرة وكرب الوجوم [١] . ولم تكن للنفوس آمال ، ولم تتشعبها الاطماع . ومن لم يعرف كيف الطمع لم يعرف اليأس ومن جهل اليأس جهل الامن وعادت الحال من الملائكة الذين هم صفوة الخلق ومن الانس الذين فيهم الانبياء والاولياء الى حال السبع والبهيمة ، والى الغباوة والبلادة ، والى النجوم فى فى السخرة ، فانها انقص من حال البهائم فى الرفعة . ومن هذا الذى يسره ان يكون الشمس والقمر والنار والثلج أو برج من البروج أو قطعة من الغيم أو يكون الحجرة بأسرها أو مكيالا من الماء او مقدارا من الهواء . وكل شىء فى العالم فانما هو للانسان ولكل مختبر ومختار ولاهل العقول والاستطاعة ولاهل التبيين والروية . وأين تقع لذة البهيمة بالعلوفة ولذة السبع بلطع الدم وأكل اللحم من سرور الظفر بالاعداء ومن انفتاح باب العلم بعد إدمان القرع ؟ واين ذلك من سرور السؤدد ومن عز الرياسة ؟ واين ذلك من حال النبوة والخلافة ومن عزهما وساطع نورهما . وأين تقع لذة درك الحواس الذى هو ملاقاة المطعم والمشرب وملاقاة الصوت المطرب واللون المونق والبسة اللينة ، من السرور بنفاذ الامر والنهى وبجواز التوقيع وبما يوجب الخاتم من الطاعة ويلزم

(١) الاطراق والحزن

من الحجة ولو استوت الامور بطل التميز . واذا لم تكن كلفة لم تكن مثوبة ولو كان ذلك لبطلت ثمرة التوكل على الله تعالى واليقين بأنه الوزر الحافظ والكافى والرافع وان الذى يحاسبك اجود الاجودين وارحم الراحمين وانه يقبل اليسير ويهب الكثير ولا يهلك عليه الا هالك . ولو كان على ما يشتهيه الغرير والجاهل بعواقب الامور لبطل النظر وما يشحذ عليه وما يدعو اليه ولتعطلت الارواح من معانيها والعقول من ثمارها ولعدمت الاشياء حظوظها وحقوقها.

فسبحان من جعل منافعها نعمة ومضارها ترجع الى اعظم المنافع وقسمها بين ملذ ومؤلم وبين مؤنس وموحش ، وبين صغير وحقير وجليل كبير ، وبين عدو يرصدك ؛ وبين عقل يحرسك ، وبين مسالم يمنعك وبين معين يعضدك ، وجعل فى الجميع تمام المصلحة وباجتماعها تم النعمة

(٦)

(ذم الكلب والديك)

الكلب سراق وصاحب بَيَات [١] وهو نبّاش وآكل لحوم الناس الا انه يجمع سرقة الليل مع سرقة النهار ثم لا تجده ابدا

(١) اتيان ليلا

يمشي في خزانة أو مطبخ أو عرصة [١] دار أو في طريق أو في براري أو في ظهر جبل أو في بطن واد الا وتخطمه [٢] في الارض يتشمم ويستروح وان كانت الارض بيضاء وحصباء ودويّة [٣] ملساء اوصخرة خلقاء [٤] حرصا وجشعا وشرها وطمعا . نعم حتي لاتجده أيضا يرى كلبا الا اشتم نسته ولا يتشمم غيرها منه ولاتراه يرمي بحجر ايضا ابدا الارجم اليه فعض عليه لانه لما كان لايكاد يأكل إلاشيئا رموا به صار ينسى لفرط شرهه وغلبة الجشع على طبعه ان الرامي انما اراد عقره أوقتله فيظن لذلك انه انما أراد إطعامه والاحسان إليه كذلك يُخيّل اليه فرطُ التّهم وتوهُّمه غلبةُ الشره . . ولكنه رمى بنفسه على الناس عجزا ولؤما وفسولة [٥] ونقصا وخاف السباع واستوحش من الصحارى . ولما سمعوا بعض المفسرين يقولون في قوله تعالى (وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) : إن المحروم هو الكلب عطفوا عليه واتخذوه في الدور وعلى أن ذلك لايكون الا من سفلتهم وأغبيائهم ومن قل تقذره وكثر جهله ورد الآثار اما جهلا واما معاندة

واما (الديك) فمن بهائمهم الطير وبغاثها ومن كلولها [٦] والعيال

---

(١) فسحة (٢) مقدم انفه وفمه (٣) فلاة (٤) ملساء
(٥) حمقا (٦) جمع كل وهو الثقيل لا خير فيه

على اربابها وليس من أحرارها ولا من عتاقها وجوارحها ولا ممن يطرب بصوته ويشجى بلحنه كالقماري[١] والدباسي[١] والوارشين[٢] والبلابل والفواخت ولا ممن يوثق بمنظره ويمتع الابصار حسنه كالطواويس والدارج ولا ممن يُعجب بهداية ويُعقد الذمام بألفه ونزاعه وشدة أنسه وحنينه، وتريده بإرادته لك وتعطف عليه لحبه إياك كالحمام ولا هو أيضا من ذوى الطيران منها فهو طائر لايطير، وبهيمة لايصيد. ولا هو أيضا ممن يكون صيدا فيمتع من هذه الجهة ويراد لهذه اللذة. والخفاش أمرط[٣] وهو جيد الطيران والديك كاسٍ ولا يطير وأى شيء اعجب من ذى ريش ارضىّ ومن ذى جلدة هوائى. والديك لايألف منزله ولاربعه ولا يحن إلى دجاجته ولا الى ولده بل لم يدر قط ان له ولدا ولو درى لكان على درايته دليل!!. فاذا قد وجدناه لبيضه وفراريجه الكائنة منه كما نجده لما لم يلده ولما ليس من شكله ولا يرجع الى نسبه فكيف تعرف الامور الا بهذا وشبهه. وهو مع ذلك ابله لايعرف اهل داره، ومبهوت لايثبت وجه صاحبه وهو لم يخلق الا عنده وفى ظله وفى طعامه وشرابه وتحت جناحه. والكلب على

(١) جمع قمرى نوع من الحمام. الدباسى جمع دبسى طائر ادكن
(٢) جمع ورشان نوع كالحمام (٣) لا شعر له

مافيه يعرف صاحبه وهو والسنور يعرفان اسماءهما ويألفان موضعهما وان طردا رجما ، وأن أجيعا صبرا وان اهينا احتملا . والديك يكون فى الدار من لدن كان فرّوجا صغيرا الى ان صار ديكا كبيرا وهو ان خرج من باب الدار وسقط على حائط من حيطان الجيران او على موضع من المواضع لم يعرف كيف الرجوع ، وان كان يرى منزله قريبا . وسبيل المطلب يسيرا . ولا يذكر ولا يتذكر ولا يهتدى ، ولا يتصور كيف يكون الاهتداء . ولو حن لطلب ، ولو احتاج لا لتمس .

ولو كان هذا الخير فى طباعه اظهر ولكنها طبيعة بلهاء مستبهمة طامحة ذاهلة .

(المؤلف) هذا الكلام لو قرأناه مترجما عن الغربيين لطرنا اعجابا بزكنهم ولطيف احساسهم ودقة ملاحظتهم فينبغى ان يكون اعجابنا بالعرب اعظم وفرحنا بوجود هذه الآثار فى كلامهم أشمل

(٧)

العبرة فى خلقة الحيوان

قال بعد ان أطال فى المفاضلة بين الكلب والديك

فليس لقدر الكلب والديك فى أنفسهما واثمانهما ومناظرهما

ومحلهما من صدور العامة أسبقنا هذا الكلام وابتدأنا بهذا القول ولسنا نقف على اثمانهما من الفضة والذهب ولا الى اقدارهما عند الناس وانما ننظر فيما وضع الله عز وجل فيهما من الدلالة عليه ، وعلى اتقان صنعه ، وفيما استخرجهما من عجائب المعارف وأودعهما من غوامض الأحساس (١) وسخر لهما من عظام المنافع والمرافق ودل بهما على ان الذى البسهما ذلك التدبير وأودعهما تلك الحكمة يجب ان يفكر فيه ويعتز به ويسبح له عز وجل ، فقد عشّى ظاهرهما بالبرهان وعمم باطنهما بالحكم وهيّج على النظر فيهما والاعتبار بهما ليعلم كل ذى عقل انه لم يخلق الخلق سُدًى ولم يترك الصورَ هَمَلا وليعلموا انه الله عز وجل لم يدع شيئا غُفلا غير مرسوم ، ونثرا غير منظوم ، وسدى غير محفوظ . وانه لا يخطئه من عجيب تقديره ، ولا يعطله من حلى تدبيره ، ولا من زينة الحلم وجلال قدرة البرهان . ثم عمم ذلك بين الضآبة (من دواب البحر) والفراشة الى الافلاك السبعة . وقد قال تعالى (ويخلق مالا تعلمون) وقد يتجه هذا الكلام فى وجوه احدها ان تكون هنها ضروب من الخلق لا يعلم بمكانها أحد من الناس . او يكون الله عز وجل انما عنى انه خلق اسبابا ووهب عللا وجعل ذلك رِفدا لما يظهر ونظاما . وكان بعض المفسرين

---

(١) جمع حس

يقول : من أراد ان يعرف معنى قوله تعالى ويخلق مالا تعلمون فليوقد نارا فى وسط غَيْضة [١] او فى صحراء بريّة ثم ينظر الى ما يغشى النار من أصناف الخلق من الحشرات والهَمَج فأنه سيرى صورا ويتعرف خلقا لم يكن يظن ان الله تعالى خلق شيئا من ذلك العالم . ومن لم يفعل ذلك لم يفهم عن ربه ولم يفقه فى دينه. كأنك لا ترى ان فى فارة البيش [٢] وفى السمندل آية غريبة وصفة عجيبة وداعية الى التفكر والتعجب . وكأنك لا ترى ان فى الجُعَل الذى منى دفنته فى الورد سكنت حركته وبطل فى رأى العين روحه ، ومتى أعدته الى الروث انحلت عقدته وعادت حركته ورجع حسه أعجب من الخلد [٣] وكيف يأتيه رزقه وكيف يتهيأ له ما يقوته وهو أعمى لا يبصر ، وأصم لا يسمع ، وبليد لا يتصرف ، وأبله لا يعرف .

وأى شىء أعجب من طائرين يراهما الناس من ادنى حدود البحر من شق البصرة الى غاية البحر من شق السند احدهما كبير الجثة يرتفع فى الهواء مصعدا ، والآخر صغير الجثة يتقلب

---

(١) أجمة (٢) البيش نبات وربما نبت فيه سم قتال لكل حيوان. وتربيه فارة البيش وهى فارة تتغذي به (٣) دابة عمياء تحت الأرض تحب رائحة البصل والكراث فاذا وضع على جحره خرج له فاصطيد

عليه ويعبث به فلا يزال مرة يرفرف حوله ويرتقى على رأسه ، ومرة يطير عند ذُناباه[١] ويدخل تحت جناحه ويخرج من بين رجليه فلا يزال يغمه ويكربه حتى يتقيه بزَرَق[٢] فأذا زرق شحا[٣] فاه فلا يخطىء أقصى حلقه حتى كأنه رمى به فى بئر وحتى كأن فى زرقه مجتاحا[٤] مدحاة[٥] بيد أسوار[٦] فلا الطائر الصغير يخطىء فى التلقى وفى معرفته انه لا رزق له الا الذى فى ذلك المكان ، ولا الكبير يخطىء التسديد ويعلم انه لا ينجيه منه الا ان يتقيه بزرقه فأذا أوعى ذلك الزرق واستوفى ذلك الرزق رجع شبعان ريان بقوت يومه ومضى الطائر الكبير لطيته[٧] وأمرهما مشهور وشأنهما ظاهر لا يمكن دفعه ولا تهمة المخبرين عنه

— ٨ —

(عجائب ما فى الكلب)

سنذكر طرفا مما أودع الله عز وجل الكلب مما لا تحسنه انت أيها الانسان مع احتقارك له وظلمك اياه . وكيف لا تكون

---

(١) ذنبه (٢) نجو (٣) فتح (٤) مستأصلا (٥) المدحاة خشبة يرمى بها الصبي فتمر على الارض لا تأتى على شى الا اجتحفته
(٦) الاسوار الرامى بالسهام (٧) الحاجة والمأرب

تلك الحكم لطيفة وتلك المعانى غريبة وتلك الأحساس دقيقة ونحن نعلم ان أدق الناس حسا وأرقهم ذهنا وأحضرهم فهما وأصحهم خاطرا وأكملهم تجربة وعلما لورام الشيء الذى يحسنه الكلب فى كثير من حالات الكلب لظهر من عجزه وخُرقه وكلال حده وفساد حسه مايعرف بدونه ان الامور لم تقسم على مقدار رأيه ولا على مبلغ عقله وتقديره ولا على محبته وشهوته وان الذى قسم ذلك لايحتاج الى المشاورة والمعاونة والى مكانفة [١] ومرادفة ولا الى تجربة وروية . ونحن ذاكرون بعد ذلك جملا ان شاء الله

(اعلم) ان الكلب اذا عاين الظباء قريبة كانت أو بعيدة عرف المقتل وغير المقتل وعرف العنز من التيس . وهو اذا أبصر القطيع لم يقصد الا قصد اليس ، وان علم انه أشد حُضْرا [٢] وأطول وثبة وأبعد شوطا . ويدع العنز وهو يرى مافيها من نقصان حضرها وقصر قاب [٣] خطوها . ولكنه يعلم ان التيس اذا عدا شوطا أو شوطين حَقِب [٤] ببوله . وكل الحيوان اذا اشتد فزعه فانه سيعرض له اماسلس البول والتقطير ، وأما الاسر والحقب وكذلك المضروب بالسياط على الاكتاف وبالعصى على الاستاه

---

(١) ان يكون كل كنفا (عونا) لاخيه (٢) الحضر العدو
(٣) مقدار (٤) حصر وتعسر عليه

وما أكثر ما يعتريهم البول والغائط . وكذلك صار بعض الفرسان الابطال اذا عاين العدو قطر الى أن يذهب عنه هول الجنان . واذا تعب التيس لم يستطع البول مع شدة الحضر ومع النفر والجزع ووضع القوائم ومعارفهما معا . فما أسرع فى الظرف ان يثقل عدوه ويقصر خطوه ويعتريه البهر حتى يلحقه الكلب فيأخذه . والعنز من الظباء اذا اعتراها البول من شدة الفزع لم تجمعه وحذفت به كايزاغ المخاض (١) الضوارب لسعة السبيل وسهولة المخرج فتصير لذلك أدوم شدا وأصبر على المطاولة . فهذا شىء فى طبع الكلب معرفته دون سائر الحيوان . والكلب المجرب لا يحتاج فى ذلك الى معاناة ولا الى تعلم ولا الى روية ولا الى تكلف قد كفاه ذلك الذى خلق العقل والعاقل والمعقول ، والداء والدواء والمداوى والمداوى وقسم الامور على الحكمة وعلى تمام المصلحة

— ٩ —

(فروج الدجاجة وفرخ الحمام)

الفَرُّوج تتصدع عنه البيضة فهو كيّس ظريف مليح مقبول مُحَبّ غنى بنفسه مكتفٍ بمعرفته بصير بموضع معيشته من لقط

(١) دفع (٢) الابل الحوامل

الحب ومن صيد الذباب ، وصغار الطير من الهوامّ . ويخرج كاسية حتى كأنه من أولاد ذوات الاربع . ويخرج سريع الحركة شديد الصوت حنينه ، يدعى بالنّفر فيجيب . ولا يقال له : قرْ . قرْ ثلاث مرات حتى يلقنه [١] فاذا استدبره مستدبر ودعاه عطف عليه وتتبع الذى يطعمه ويلاعبه . وان تتباعد من مكانه الاول ، فهو آلف شيء . ثم كلما مرت عليه الايام ماق [٢] وحمق ونقص كَيْسه وأقبل قبحه وأدبر مِلْحه [٣] . فلا يزال كذلك حتى ينسلخ من جميع ما كان يحب له الى ضد ذلك ويصير من حال الى حال لم يبلغ الانتفاع بذبحه وبيضه وفراريجه وذهب عنهم الاستمتاع بكيسه . ولا يكاد يقبل الشحم حتى يلحق بأبيه . وكذلك اذا كانت انثى لاتقبل السمن ولا تحمل اللحم حتى تكاد تلحق أمها فى الجثة

والفرخ يخرج حارضا [٤] ساقطا أنقص من أن يقال له ماثق وأقبح شيء وهو فى ذلك عارى الجلد مختلف الاوصال [٥] متقارب الاعضاء ضعيف القوة عظيم المنقار فكلما مرت به الايام زادت فى لحمه وشحمه وفى معرفته وبصره حتى اذا بلغ خرج منه من الامور

---

(١) يفهم ويعى

(٢) حمق (٣) ملاحته وظرافته (٤) كليلا لا يقدر على النهوض

(٥) الاعضاء

المحمودة ماعدى لوان واصفاتتبع ذلك لملأ منه الاجلاد [١] الكثيرة ثم اذا جاوز حد الفراخ الى حد النواهض الى حد العتق [٢] والمخالب قل لحمه وذهب شحمه ، على حساب ذلك ينقص . فأذا تم وانتهى لم يكن فى الارض دابة ولا طائر أقل شحما ولا أخبث لحما منه .

(١٠)

(الاستعداد والميل)

قد زعم ناس أن كل انسان فيه آلة لمرفق من المرافق ، وأداة لمنفعة من المنافع . ولا بد لتلك الطبيعة من حركة وان أبطأت ؛ ولا بد لذلك الكامن من ظهور . فان أمكنه ذلك بعثه وإلا سرى اليه كما يسرى السم فى البدن ، وكما ينمى العرق . كما ان البزور البرية والحبة والوحشية الكامنة فى أرحام الارضين لابد لها من حركة عند زمان الحركة ، ومن التفتق والانتشار فى ابان الانتشار . واذا صارت الامطار لتلك الارحام كالنطفة وكان بعض الارض كالام الغاذية فلا بد لكل ثدى قوى أن يظهر قوته كما قال الاول

---

(١) الجلود والمراد الكتب المجلدة (٢) تمام القوة

ولا بد للصدر يوما من النفث

ولا بد من شكوى اذا لم يكن صبر

ولذلك صار طلب الحساب أخف على بعضهم ، وطلب الطب أحب الى بعضهم وكذلك النزاع الى الهندسة ، وشغف أهل النجوم بالنجوم وكذلك أيضاً ربما تحرك له بعد الكبر وصرف رغبته اليه بعد الكهولة على قدر قوة العرق فى بدنه ، وعلى قدر الشواغل له وما يعترض عليه فتجد واحداً يلهج بطلب الغناء واللحون ، وآخر يلهج بشهوة القتال حتى يكتتب مع الجند ؛ وآخر يختار وراقا ، وآخر يختار طلب الملك . . وتجد حرصهم على قدر العلل الباطنة المحركة لهم . ثم لاتدرى كيف عرض هذا لهذا السبب دون الآخر الا بجملة من القول . ولا تجد المختار لبعض هذه الصناعات على بعض يعلم لم اختار ذلك فى جملة ولا تفسير ؟ اذ كان لم يجر منه على عرق ، ولا اختاره على إرث .

وليس العجب من رجل فى طباعه سبب يصل بينه وبين بعض الامور ويحركه فى بعض الجهات ، ولكن العجب ممن يموت مغنيا وهو لاطبع له فى معرفة الوزن ، وليس له جزم (٣) حسن

---

(١) المصاب بصدره (٢) اخراج مافى الصدر (٣) صوت

فيكون ان فاته ان يكون معلما ومغنى خاصة يكون مطربا ومغنى عامة . وآخر قد مات على ان يذكر بالجود وان يسخى على الطعام وهو أبخل الخلق فتراه كليفا باتخاذ الطيبات ، ومشتهرا بالتكثير منها ثم هو أبداً مفتضح وأبداً منتقض الطباع ظاهر الخطأ سيء الجزع عند مؤاكلة من كان هو الداعى له والمرسل اليه ، والعارف مقدار لقمه ونهاية أكله . . . اه

(١١)

(الشهرة من الحظ)

وقد زعم ناس من العلماء ان رجالا حظيت بالسيادة والنباهة والطاعة فى العشيرة ، وكذلك القبيلة ربما سعدت بالحظ . وربما حظيت بالجد . وانما ذلك على قدر الاتفاق ، وانما هو كالمعافى والمبتلى وانما ذلك كما قال زهير .

وجدت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم

وكما تحظى بعض الاشياء وبعض الأمثال وبعض الالفاظ دون غيرها ودون ما يجرى مجراها او يكون ارفع منها . قالوا وذلك

موجود فى المرزوق المحروم وفى المحارف [1] والذى تجوز عليه الصدقة ، من حاذق بصناعته وكثير الجولان فى تجارته وقد بلغ فرغانة مرة والانداس مرة ونقب فى البلاد وربع فى الافاق ، ومن حاذق يشاوَر ولا يُستعمل . هم لا تجدهما يستبينان من سوء الحال وكثرة الدين ، ومن صاحب حرب منكوب وهو الليث على براثنه مع تمام العزيمة وشدة الشكيمة ونفاذ البصيرة ومع المعرفة بالمكيدة والصبر الدائم على الشدة . فكم من بيت شعر قد ساروأجودُ منه مقيم فى بطون الدفاتر لا تزيده الأيام إلا خمولا . كما لا تزيد الذى دونه الا شهرة ورفعة . وكم من مثلٍ قد طار به الحظ حتى عرفته الانام ورواه الصبيان والنساء . . وكذلك حظوظ الفرسان . وقد عُرِفتْ شهرة عنترة فى العامة ونباهة عمرو بن معدى كرب وضرب الناس المثل بعبيد الله بن الحرّ وهم لا يعرفون بل لم يسمعوا قط بعتيبة بن الحارث بن شهاب ، ولا بيسطام بن قيس . وكان عامر بن الطفيل أذكرَ منهما نسبا . ويذكرون عبيد الله بن الحر ولا يعرفون شعبة بن زهير ، ولا زهير بن ذؤيب ولا عباد بن الحصين . ويذكرون الاسَنّ والبياذ والخطيب بن القُرَيّة ولا يعرفون سحبان وائل . . والعامة لم يصل ذكر هؤلاء

(١) المحروم المحدود

اليهم الا من قِبَل الخاصة والخاصة لم تذكر هؤلاء دون أولئك . فتركت تحصيل الامور والموازنة بين الرجال وحكمت بالسابق الى القلب على قدر طباع القلب وهيبته ثم استوت عالى العامة فى ذلك وتشابهت .

والعامة والباعة والاغبياء والسفلة كأنهم أعذار عام واحد [١] وهم فى باطنهم أشد تشابها من التوءمين فى ظاهرهما . وكذلك هم فى مقادير العقول وفى الاعتراض والتسرع وان اختلفت الصور والنغم والاسنان والبلدان . وذكر الله عز وجل رد قريش ومشركي العرب على النبى صلى الله وعليه وسلم قوله [٢] فذكر الفاظهم وجهد معانيهم ومقادير هممهم التى كانت فى وزن ما يكون من جميع الامم الى انبيائهم فقال تشابهت قلوبهم . ثم قال وخضتم كالذى خاضوا ومثل هذا كثير . الا ترى انك لاتجد أبدا فى كل بلدة وفى كل عصر الحاكة [٣] فيهم الا على مقدار واحد وجهة واحدة من السخط والحمق والغباوة والظلم . وكذلك النخاسون [٤] على طبقاتهم من اصناف مايبيعون . وكذلك السماكون الغلاّسون [٥] وكذلك

---

(١) المراد انهم متشابهون لافرق بينهم كانهم ابناء ولدوا فى سنة واحدة

(٢) مفعول رد (٣) جمع حائك (٤) جمع نخاس وهو بائع الدواب او العبيد (٥) الذين يخرجون فى الغلس وهو الظلام آخر الليل

اصحاب الخُلقان كلهم فى كل دهر وفى كل بلد على مثال واحد وعلى وجهة واحدة . وكل حجام فى الارض فهو شديد الاستهتار بالنبيذ وان اختلفوا فى البلدان والاجناس والاسنان (١) . ولا ترى مسجوناً ولا مضروبا عند السلطان الا وهو يقول انى مظلوم ولذلك قال الشاعر

لم يخلق الله مسجونا تسائله
ما بال سجنك ؟ الا قال مظلوم

وليس فى الارض خصمان يتنازعان الى حكم الا كل واحد منهما يدعى عدم الانصاف والظلم على صاحبه . وليس فى الارض إنسان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعتريه الغلط فى شعره وفى ولده الا ان الناس فى ذلك على طبقات من الغلط فمنهم الغَرِق (٢) المغمور ، ومنهم من قد نال من الصواب ونال من الخطأ ، ومنهم من يكون خطؤه مستورا لكثرة صوابه فما أحسن حاله ما لم يمتحن بالكشف . ولذلك احتاج العاقل فى استحسان كتبه وشعره من التحفظ والتوقى ومن اعادة النظر والتهمة الى اضعاف ما يحتاج اليه فى سائر ذلك . والعامة تحكم ان حاتما أجود العرب ولو قدمته

---

(١) الاعمار (٢) المبالغ

على هرم الجواد لما اعترض عليهم ولـكن الذى يُحَدَّث عن حاتم لايبلغ مقدار ماروووه عن كعب بن مامة لان كعبا بذل نفسه فى أعطية الـكرم وبذل المجهود فساوى حاتمـا من هذا الوجه وباينه ببذل المهجة . ونحن نقول ان الاشعار الصحيحة المقدار الذى يوجب اليقين بأن كعبا كان كما وصفوا [١] (غير شائعة ولا متداولة) فلو لم [٢] يكن الامر فى هـذا الى الجدود والحظوظ والاتفاقات والى علل باطنة تجرى الامور عليها وفى الغوص عليها وفى معرفتها بأعيانها عسر لما جرت الامور على هذه المجارى ولو كان الامر فيها مفوضا الى تقرير الرأى لـكان ينبغى لغالب بن صعصعة ان يكون من المشهورين بالجود دون هرم وحاتم فأن زعمت ان غالبا كان اسلاميا وكان حاتم فى الجاهلية والناس بمآثر العرب فى الجاهلية أشد كلفا فقد صدقت . وهذا أيضا ينبئك أن الامور فى هـذا على خلاف تقدير الرأى وانما تجرى فى الباطن على نسق قائم وعلى نظر صحيح وعلى تقدير محكم فقد تقدم فى تعيينهما وتسوية بما من لاتخفى عليه خافية ولا يفوته شىء ولا يعجزه . والا فمـا بال ايام الاسلام

---

(١) فى الاصل بيـاض بعد كلمة وصفوا وقد رأيت أن المعنى يتم بوضع البقية التى بين القوسين . (٢) فى الاصل فلو كان . . . . وأرى ان الـكلام لا يستقيم الا على النفى

ورجالها لم تكن اكبر فى النفوس وأجل فى الصدور من رجال الجاهلية مع قرب العهد وعظم خطر ماملكوا وكثرة ماجادت به أنفسهم ومع الاسلام الذى شملهم وجعله الله تعالى اولى بهم من أرحامهم . ولو أن جميع مآثر الجاهلية وزنت به وبما كان فى الجماعات اليسير من رجالات قريش فى الاسلام لاربت عليها أو لكانت مثلها

(١٢)

(أحساس الحيوان (١))

انما اعتمدنا فى هذا الكتاب على أخبار ما فى أجناس الحيوان من الحجج المتظاهرة وعلى الادلة المترادفة وعلى التنبيه على ما خلقها الله تعالى من البرهانات (٢) التى لا تعرف حقائقها الا من الفكرة وغشاها من العلامات التى لاتنال منافعها الا بالعبرة . وكيف فرق فيها من الحكمة العجيبة ، والاحساس الدقيقة والصنعة اللطيفة ، وما ألهمها من المعرفة وكساها من الجبن والجرأة وبصرها بما يقيمها ويعيشها وأشعرها من الفطنة ما تحاذر به عدوها ليكون ذلك

---

(١) جمع حس (٢) الجاحظ يجمع برهانا على برهانات وقد لاحظنا ذلك فى كل كتبه .

سببا للحذر ويكون حذرها سببا للحراسة وحراستها سببا للسلامة حتى تجاوزت فى ذلك مقدار حراسة المجرب من الناس والخائف المطلوب من أهل الاستطاعة والروية كالذى ترون من تحارس الغرانيق والكراكيّ وأشكال من ذلك كثيرة حتى صار الناس لايضربون المثل الا بها ولا يذمون ولا يمدحون الا بما يجدون فى أصناف الوحش من الطير وغير ذلك . فقالوا أحذر من عقعق واحذر من غراب ، واحذر من عصفور ، وأحذر من فرخ العقاب . واسمع من قراد ، واسمع من فرس ، وأجبن من صافرة ، وأسخى من لافظة ، وأصنع من سرفة وأهدى من قطاة وأهدى من حمام ؛ وأهدى من جمل ، وأزهى من ذباب ، وأجرأ من الليث وأكسب من الذئب وأخدع من ضب وأروغ من ثعلب وأعق من ضب ، وأبر من هرة وأسرع من سمنع [١] ، وأظلم من حية وأظلم من ورل [٢] ؛ وأكذب من فاختة [٣] وأصدق من قطاة ، واموق [٤] من رخمة ، وأحزم من فرخ العقاب .

ونبهنا [٥] الله تعالى وعز عن هذه المناسبة وعن هذه المشاركة وامتحن ماعندنا بتقديمها علينا ببعض الامور وتقديمنا عليها فى اكثر الامور

---

(١) ولد الذئب (٢) دابة كالضب (٣) ضرب من الطير
(٤) أحمق (٥) رفع من قدرنا

وأراد بذلك الا يخلينا من حجة ومن النظر الى عبرة والى ما يعود عند الفطن موعظة ولما كره لنا من السهو والاغفال ، ومن البطالة والاهمال . فجعلنا فى كل احوالنا لا تفتح أبصارنا الا وهى واقعة على ضرب من الدلالة وعلى شكل من أشكال البرهانات وجعل ظاهر ما فيها من الآيات داعيا الى التفكير فيها وجعل ما استخزنها من أصناف الاعاجيب يعرف بالكشف عنها . فمنها ظاهر يدعوك الى نفسه ويشير الى ما فيه . ومنها باطن يزيدك بالامور ثقة فأذا أفضيت الى حقيقته لتعلم أنك مع فضيلة عقلك وتصرف استطاعتك اذا ظهر عجزك عن عمل من هو أعجز منك أن الذى فضلك عليه بالاستطاعة والمنطق هو الذى فضله عليك بضروب أخر وانكما مدبران لما خلقتما له ومتصرفان لما سخرتما له وان الذى يعجز عن صنعة الشرفة [١] وعن تدبير العنكبوت فى قلتهما ومهانتهما وضعفهما وصغر صورهما لا ينبغى ان يتكبر فى الارض ولا يمشى الخيلاء ولا يتهكم فى القول ولا يتألى [٢] ولا يستأمر وليعلم ان عقله منحة من ربه وان استطاعته عارية عنده وانه انما يستبقى النعمة بادامة الشكر . ثم حبب اليهما طلب الذرء والسفاد والذى يكون

(١) دويبة تتخذ بيتا من دقاق العيدان فتدخله فتموت فيه

(٢) يقسم ويؤكد

مجلبة للولد ، وحبب اليها أولادها ونجلها وذرءها ونسلها حتى قالوا

اكرم الابل اشدها حنينا واكرم الصفايا (١) أشدها حبا لأولادها

. . . . . .

وقد عرفنا كيف شم السنانير (٢) والسباع والذئاب وأعجب من ذلك وجدان الذرة لرائحة شيء لو وضعته على أنفك لما وجدت له رائحة كرجل جرادة يابسة منبوذة . كيف تجد رائحتها من جوف جحرها حتى تخرج اليها . فاذا تكلفت حملها فاعجزتها كيف تستدعى اليها سائر الذر وتستعين بكل ما كان معها فى الجحر ، ونحو شم الفرس رائحة الحجر (٣) من مسيرة ميل والفرس يسير قدّاما والحجر خلفه بذلك المقدار من غير تلفت ولا معاينة من جهة من الجهات وهذا كثير وقد ذكرناه فى غير هذا الموضع

فاما السمع فدعنا من قولهم أسمع من قراد ، وأسمع من فرخ العقاب وأسمع من كذا وأسمع من كذا ولكنا نقصد الى الصغير الحقير فى اسمه وخطره (٤) والقليل فى جسمه وفى قدره

---

(١) الصفايا جمع صفى وهى الناقة الغزيرة اللبن (٢) القطط جمع سنور

(٣) الانثي من الخيل (٤) شأنه

وتقول العرب أسمع من قُراد (١) ويستدلون بالقرادن (٢) التي تكون حول المياه والبئر فأذا كان ليلة ورود العرب وقد بَعَثَ القوم من يصلح لابلهم الارشية (٣) وأداة السقى وباتت الرجال تنتظر مجيء الابل فأنها تعرف قربها من جوف الليل بانتفاش القردان وسرعة حركتها وخشخشتها ومرورها نحو الراعى ووقع الاخفاف على الارض من غير ان تحس اولئك الرجال حسها أو يشعروا بشيء من أمرها فأذ استدلوا بذلك من القردان نهضوا وبرزوا وتهيئوا للعمل .

فأما درك البصر فقد قالوا أبصر من غراب وأبصر من فرس وأبصر من هدهد وأبصر من عقاب . والسنانير والفار والجرذان والسباع تبصر بالليل كما تبصر بالنهار .

فما الطعم (٤) فيظنون انه لفرط الشره والشهوة ولفرط الاستمراء ولفرط الحرص والنهم ان لذتها تكون على قدر شرهها وشهوتها ويكون على قدر مايرى من حركتها وظاهر حرصها .

. . . . . .

---

(١) دويبة تؤذى البعير وتلصق بمنبت ذنبه

(٢) جمع آخر للقرد (تلك الدويبة) (٣) جمع رشاء

(٤) احساس الذوق

واذا كان الانسان يبلغ بالروية والتصفح والتحصيل والتمثيل مالا يبلغه شيء من السباع وانبهائم فان لها امورا تدركها وصنعة تحذقها تبلغ منها بالطبائع سهوا وهويا مالا يبلغ الانسان فيما هو بسبيله الا ان يكره نفسه على التفكير وعلى ادامة التنقير والتكشيف والقياس

(اللغة)

جمعنا هذا الباب مما وقع لنا من مطالعاتنا ومما عثرنا به من نظرنا فى المعاجم ونحن نسوق ذلك للقارىء لنكفيه مؤونة البحث وليعرف من فضل العربية مايجعله يحبها ويرغب فى تحصيلها . وقد بنينا كلامنا فى ذلك على ثلاثة أصول :

(ا) الفروق (ب) الاضداد (ج) الكلمة تدل على كلمات

(ا) الفروق

إذا عددنا للغة العربية كثيراً من الفضائل والميزات التى ميزتها من اللغات وأنافت بها على اليفاع فى مقام المفاضلة ، فأول

ذلك ما اتسعت له من فروق المعانى وتفاصيلها وتحديد جهاتها وتحديد صورها حتى كادت تجزىء من الشىء ما لا يقبل التجزئة وذلك منها فضل سعة وزيادة ثروة وإفراط تأنق . وسيمر بك من ذلك ما جعلناه نموذجا فحسب للباحث المستفيض وذلك هو شأننا فى ابواب كتابنا هذا فلم نرد إلا أن نجعلها أمثلة تحتذى فى تكوين ملكة اللغة من أراد لنفسه الكمال فيها . فمن ذلك

أَمْهَق	أبيض كلون الجص
أزْهَر	« يخالط بياضه صفرة كلون القمر
أقْهب	« « « حمرة يسيرة
أقْشر	« « « « شديدة

الوَكْر	عش الطائر فى الشجرة
الوَكْن	« « فى جدار أو جبل

الاعلم	مشقوق الشفة العليا
الافلح	« « السفلى

الكَلأ	اسم جامع للنبات (رطبا و يابسا)
الخَلا	« للنبات الرطب

الحشيش	« « اليابس
التهجيع	النوم القليل
الهجوع	« الغرق
الخاتم	ماله فص
الفتخة	ما ليس له فص
اعتبط	مات صغيرا
اختضر	« شابا
قضى نحبه	« شيخا
فاضت روحه	« بعلة
فاظت «	« فجأة
رجل مُوَسْوِس	متردد
رجل مُوَسْوَس	مجنون
الاحدب	من خرج ظهره ودخل صدره
الاقمس	« « صدره « ظهره
الاعسر	الذى يعمل بشماله

أعسر يسر أو أضبط الذي يعمل بكلتا يديه

الخطء	الذنب المعتمد
الخَطَأ	« غير المتعمد
الخاطيء	المذنب المعتمد
المخطيء	« غير المعتمد

ما لهُ قوت يوم	يقال لمن لا يجد طعام النهار
ما لهُ هدأة ليلة	« « « « الليل

غضب لفلان	يقال ذلك إذا كان المغضوب له حيًّا
غضب بفلان	« « « « « ميتًا
الميْت	الذى قد مات
الميِّت أو المائت	ما من شأنه أن يموت [١]

تحسس	تعرف أخبار الخير
تجسس	« « الشر

الجلوس	الانتقال من سفل الى علو

---

(١) تعلم هذه التفرقة من قول القائل :

فمن كان ذا روح فذلك ميت وما الميت الا من الى القبر يحمل

القعود « « علو الى سفل

الاهراع الاسراع فى السير مع عدم خوف
الاهطاع « « « « خوف

حلا الشيء حسن مذاقه فى الفم
حَلِى الشيء « منظره فى العين

ماء مُثْلَج برد بطبيعته
« مُثَلَّج « بالثلج

الحَثَر فقدان حاسة البصر
الخَشَم « « الشم
الصمم « « السمع
العمى فقدان حاسة البصر

بنو العَلّات من أبوهم واحد وأمهاتهم شتى
بنو الاعيان من كانوا لاب واحد وأم واحدة

بنو الاخياف من أمهم واحدة وآباؤهم مختلفون

كَبِر تقدم فى العمر

كَبُر	« فى المقام
صغِر	تأخر فى السن
صغُر	« فى المقام
الجنازة	الجثة
الجَنازة	النعش

اليتيم	فاقد الاب
العَجِيّ	« الام
اللطيم	« الابوين

الفِراسة	التفرس وصدق الحدس
الفَراسة	الحذق بركوب الخيل

العِمارة	ما يعمر به المكان
العُمارة	أجر السكنى
العَمارة	كل شىء على الرأس من عمامة وغيرها

الأُمة	الجماعة من الانسان أو الحيوان
الأَمة	الشجة فى الرأس
الإِمة	النعمة أو الدين

البِشارة	البشرى
البُشارة	ما يعطاه المبشِّر
البَشارة	حسن الوجه

ناء بالحمل	نهض به مثقلا
ناء به الحمل	أثقله وأماله

البَردىّ	النبات الذى يصنع منه الورق
البُرْدىّ	نوع من التمر

ساء فلان صديقه	فعل ما أغضبه
أساء فلان العمل	أفسده
أساء اليه	ضد أحسن

القرّاء	الحسن الصوت
القُرّاء	المتعبد

الوُضوء	التوضؤ
الوَضوء	ماء التوضؤ

الهَيئة	حال الشيء
الهِيئة	الاشتياق

خبّ (بوزن علم) خَدَع
خبّ (« نصر) أسرع فى السير

الخِطْبَة أن يخطب الرجل المرأة ليتزوجها
الخُطبة أن يتكلم المتكلم على المنبر مخاطبا الناس

الكُوب الكوز لا عروة له
الكوبة النرد أو الشّطرنج

آزره عاونه
وازره صار وزيرا له

الضُّحِكة الذى يضحك من الناس
الضُّحَكة « « الناس منه
الصُّرَعة « يغلب كل مصارع
الصُّرَعة « يغلبه « «
الهُزَأة « يهزأ بالناس
الهُزْأة « « به الناس

وفى اللغة من هذا النوع كثير نكتفى بالاشارة اليه

أمرأة حسناء ذات حسن

« حسانة	اكثر حسنا
الباكورة	اول مايظهر من الفاكهة
اللحق	ما يتتابع بعد ذلك

خبت النار	طفئت وصارت رمادا
خمدت النار	سكن لهبها ولم تنطفىء
الافراط	الزيادة فى الشىء والمبالغة فيه
التفريط	الاهمال للشىء والتقصير عنه

الاقتار	القلال والفقر
التقتير	التضييق والبخل

(ب) الاضداد (١)

هذا باب لا يشعر بمس الاضطرار اليه إلا من عالج الوصف وحاول المقايسة ، فوصف النقيضين وسمى الضدين ، فى هذا السبيل يعثر بالكاتب قلمه ، ويلتوى بالخطيب لسانه ، وتجد العبارة عن الشىء وضده ضعيفة متهافتة . واعتبر ذلك بما تراه يفشو فى

(١) نريد بالضد هنا اللفظين المتغايرين ، للمعنيين المتناقضين وان كان المراد به عند اللغويين أن يدل لفظ واحد على معنيين متغايرين مثل جون للاسود والابيض

كتابات كثير من الكتّاب من الاكثار من ذكر حروف النفى ، وأساليب السلب ، حتى لقد ينتهى بأحدهم قلة علمه بالاضداد أن يعبر عن البليد بغير المجتهد فيقع كلامه من الوَهَن بحيث لا يريد ومن الفتور بحيث هداه تحير أسلوبه وضعفه

وانا ذاكرون من الاضداد طرفا ليكون مثالا يحتذى إذ لا يعقل أن يحيط بسرّ واحد من اسرار اللغة كتب كثيرة بله كتابا واحدا ككتابنا . فمن ذلك :

شجرة سُلب	ليس بها ورق
« مُورقة	بها ورق

امرأة حالية	عليها حلى
امرأة عاطل ــ عُطل	ليس عليها حلى

مكان آهل	به ناس
مكان قَفْر	ليس به ناس

ارض معشبة	بها عشب ونبات
« مَرْتٌ	ليس بها نبات

بلدة محصَّنة	بها حصن
بلدة جلحاء	ليس بها حصن

درهم أحرش	جديد
« أمسح	ليس جديدا

حلة شوكاء	لها خشونة الجدة
« جَرْد	ليس لها خشونة الجدة

شجاع ضِمّة	عظيم الشجاعة
جبان وَغواع	بالغ الجبن

الغَمر	الماء الكثير
الوَشَل	« القليل

امرأة ثَور	كثيرة الاولاد
امرأة نَزور	قليلة «

رجل أشعر	كثير الشعر فى جسمه

« أملط	خالٍ من « إلا فى رأسه

امرأة حَصّاء	لا شعر فى رأسها
« فرعاء	كثيرة شعر الرأس

فتاة ضهواء	لم تُنْهد
« ناهد	نابتة الثدى

امرأة جبّاء	غير عالية الصدر ولا ممتلئة الثديين
امرأة وطباء	عالية الصدر عظيمة الثديين

امرأة صَناع	تحسن عملها
امرأة خَرقاء	لاتحسن عملها

فتاة هاجن	تزوجت قبل البلوغ
شابة عانس	مضى إبان الزواج ولم تتزوج

جائع معصوب	يكاد يموت جوعا
شبعان ممتلىء	كثير الشبع

امرأة حَوْنَاء	ضخمة الحاصرة
« مهضومة	دقيقة «

امرأة خُضَبَة	كثيرة الاختضاب
سَلْتَاء	عديمة «

الحادور	الشراب المسهل
العاقول	الشراب القابض

مَطَرهم الله نعمة	يقال فى الخير
أمطرهم الله نقمة	« « الشر

شَمِلهم الفرح	يقال فى الخير
أَشْمَلهم الحزن	« « الشر

دم عَبيط	سائل
دم جَسيد	جامد قديم

الحَوَل	اتجاه الحدقة الى جهة الصدغ

القَبَل	اتجاه الحدقة الى جهة الأنف

رجع بخُفَّي حُنين	رجع خائبا
« رَجْعَةً صالحة	« ظافرا مستفيدا

على فلان مخايل النجابة	اذا كان ذكيا
على فلان رَأْوة الحمق	اذا كان غبيا

لفَحه الحر	اشتد عليه
نفحه البرد	« «

جاحظ العينين	اذا كان بارزهما
هاجم العينين	« « غائرهما

رجل موجَّن	عظيم الوجنتين
رجل أعوس	غائر «

البِكْر	أول أولاد الرجل ذكرا أو أنثى
الكِبْرة أو المِجْزة	آخر « « « «

(ج) الكلمة تغنى عن كلمات

فضيلة اللغة العربية إعجازها اللفات بما تهيأ لها من الايجاز الشافى ، والقليل الوافى ، والاشارة المسفرة ؛ والايماءة المفسّرة . وآية ذلك فيها أن تجد اللفظة الواحدة وقد دلت على كثير من المعاني؛ وأوحت اليك بأسرار لا يؤديها الا العبارة الحافلة والالفاظ الكثيرة . فكأن الكلمة قلب احتوى سرا ، أو صندوقة ملئت تبرا .

وقد يتناهى نبل الكلمة حتى لا تجد فى العبارة المسهبة ما يفى بمعناها أو يؤدى سرها وذلك جمال آخر للغة التى لا يصل واصف الى حقيقة شرفها وكنه كمالها

ومن تلك الكلمات

مُتقاتل حادر	تام السلاح حذق بالقتال قوى نشيط له
رجل مجذام	يصادق فاذا أحس ما ساءه أسرع الى المصارمة
تخالج السكران	تمايل كأنه يجتذب نفسه مرة يمنة ومرة يسرة
عيث الرامى فى الكنانة	جعل يدير يده فيها يطلب السهم من غير أن يبصره

اخترط الآكلُ العنقود	أدخله فى فمه ثم أخرج عمشوشة عاريا عن الحب
مَلَشَهُ — مَلَذَهُ	طيب نفسه بوعد لا ينوى به وفاء
قشَبه	عابه بعيوب هى فيه
خرط الرجل الغصن	وضع يده فى أعلاه وأمرّها عليه الى أسفله لينزع ورقه
الحُثّ	الخبز القَفَار
تفَخّل	أظهر الوقار وتهيأ ولبس أحسن ثيابه
تنفّج	افتخر بأكثر مما عنده
الخَفُوت	المرأة تستحسن وحدها لا بين الجميلات
المُطْبُول	المرأة الفتيّة الجميلة الممتلئة الطويلة العنق
الخريدة	المرأة الخَفِرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة
رجل أنزع	منحسر الشعر عن جهتى الجبهة
امرأة زعراء	منحسرة « « «
رجل أجْنأ	مقبل الكاهلين عن الصدر كِبَرا

رجل شَخْتٌ	ضامر من غير هزال
التَّرْبيتُ	تنويم الطفل بضرب خفيف على الجنب
رجل مَسْنُوتٌ	يصاحب ثم يغضب من غير سبب
رجل سَكِتٌ	قليل الكلام فاذا تكلم أحسن
دَغَتَهُ	خنقه حتى مات
تجابّ الرجلان	تزوج كلٌّ أخت الآخر
هَرَأَه البرد	أشتد عليه حتى يكاد يقتله أو قتله
الجَلْهَزة	إغضاؤك عن الشيء وأنت عالم به
عاطت المرأة	أمتنع حملها سنين من غير عقم
ظلّل الراكب للجواد	أشار اليه بالسوط تخويفاً من غير ضرب
شاب الرجل عن صاحبه	دافع فلم يبالغ أو لم يجد الدفاع
عَبر القارىء الكتاب	تدبره ولم يرفع صوته بالقرأة
رفّأ	قال بالرفاء والبنين
حوقل	قال لا حول ولا قوة الا بالله
بسمل	قال بسم الله
طلبق	قال أطال الله بقاك
هلل	قال لا اله الا الله

أقذَن	أتى بعيوب كثيرة
تبنّك بالمكان	أقام مستوطناً لا ينوى الرحيل
المتخمّط	القهار الغلاب الشديد الغضب الذى له جلبة حين يسخط
أكهى المقرور	سخن أطراف اصابعه بالنفث فيها
برّق عينيه	وسعهما وأحدّ النظر
قُتل فلان عميّاً	أى من يد مجهولة
ضُرب بسهم غَرَب	» » » »
شغزبه	صرعه بأن اعتقل برجليه رجل خصمه ثم طرحه على الارض
المُجَعَّب	الصّريع الذي لا يُصرع
المُحَبَّر	من أكلت البرانيث جسمه فبان ذلك فيه وبقيت له آثار
رمز الرضيع الثدى	جعل يرضعه ويعصره بأصابعه
عفّرت الام طفلها	أغبّت ارضاعه تريد فطامه
تنسّف المصارعُ المصروعَ	قبض عليه بيده وعرض له رجله فعثر
تناهد القوم	بذل كل قسطه من النفقة فى رحلة اشتركوا فى نفقتها

امرأة مُكَلثَمة	ذات وجنتين حسنة دوائر الوجه فاتنها سهولة الخدين ولم تلزمها جهومة المنظر
جندر الكاتب الكتابة	أمرّ القلم على ما خفى من حروفها
أحبى الرامى	وقع سهمه دون الغرض
أصمى «	أصاب سهمه من المرمى مقتلا
جردب الآكل	تناول بنهم فكان يأكل بيمينه ويحمى الطعام بشماله
استحال الشيءَ	نظر اليه هل يتحرك ؟
استكف الشيءَ	نظر اليه واضعاً كفه على حاجبه حتى يتمكن من رؤيته

قديم فاتنا استعماله (١)

لا يتهمنا متهم بالجمود والتشيع للقديم اذا نحن حاولنا لفت الادباء والكتاب عن الفاظ شاعت كثيرا ولهجت بها الالسنة فأنما غرضنا من ذلك جعل هذه اللغة الشريفة صريحة خالصة النسب وأن نتبع فى التقدم بها سبيلا مشروعا فلا نهمل لفظا لغير سبب من غرابة او نقل الى غيرهما مما أفاض فيه علماء البيان ، ولا نحدث

(١) زدنا هذا المبحث وقد كنا نشرناه فى صحيفة المعلقات الغراء فى اول ظهورها

لفظا لا تكون بنا حاجة الى احداثه لوجود البديل منه فى اللغة مستعملا فصيحا عند الاقدمين . على أننا لا نزال نخطىء فى طرق الاستحداث فندخل من ابواب المجاز مداخل ضيقة ونلتمس عللا متهاوية متساقطة ثم يأتى اللفظ بعد ذلك هجينا متكلفا طائشا غير مسدد الى معناه ، فلا نحن برزنا اللغة ولا أدينا الامانة فى الاشتقاق والوضع

واذا فاتنا ان نأتى بالكثير من هذا النوع فلان ذلك لا يطلب من همة واحدة أداؤه بل يجب ان يتناصر فيه الادباء ويكثر عنه الباحثون حتى يتوافر ويصير مقدارا صالحا يغير من وجه مصطلحاتنا فمن ذلك

(١) — الرّفادة : من معانيها فى القاموس (شىء تترافد به قريش فى الجاهلية ؛ تخرج من بينها مالا تشترى به للحجاج طعاما ونبيذا . كذلك من معانيها الاعانة والمساعدة فأولى بها ان تستعمل بدل كلمة « اكتتاب » التى لا رائحة فيها لما يراد منها الآن لانها ليست غير مصدر الافتعال من الكتابة وقد يقال اكتتب فى الجند أى كتب نفسه محاربا معهم

(٢) — الزّكن : من معانيه فى القاموس (التفرس والحزر والحدس والتخمين) . وقد وصفوا إياسا مثلا بالزكن وحوادثه

المنسوبة اليه تدل على انه كان كما نقول الآن « قوى الملاحظة » ونحن اذا حللنا هذه الكلمة « قوي الملاحظة » لانجدها تدل على أكثر من قوة الابصار فأين هذا من المراد منها لولا ماتعارفناه بيننا

٣ — النُّفَارة : هى ما يأخذه الغالب من المغلوب فهي أولى بالاستعمال من كلمة « الغرامة الحربية »

٤ — عَمّارٌ : من معانى هذه الكلمة فى القاموس « الحدب على السلطان الملازم للجماعة فلا بأس باستعمالها بديلا من كلمة رجعيّ او حكومى على أن مما يساعد على ذلك كون الكلمة مستعملة في معان كلها يحوم حول الرضاء السكينة

٥ — الكوسج : أرى ان تستعمل هذه بديلا من كلمة كرنفال التي استعمل الادباء لها كلمة حنكة أو غيرها . فأني عثرت فيما قرأة على انه كان للعرب عادة فى بغداد وغيرها من بلاد الفرس فكانوا يخرجون فى ثياب مشهرة مضحكة فى إيام مخصوصة من أوائل السنة الفارسية

٦ — خريدة : من معانى هذه الكلمة فى القواميس الفتاة البكر وذلك هو المعنى كل المعنى الكلمة « مدموازيل » فهى أولى بالاستعمال من كلمة آنسة التى معناها لغة « المرأة الطيبة »

٧ ـ حَمالة . فى القاموس « الحمالة » الكفالة والكفالة النهوض

بالامر وضمانه وكل هذه المعاني هي التي نحملها خطأ وتوسعا لامسوغ له لكلمة تبعة مع ان معناها فى اللغة شبه الظلامة وقد أتوا بها مستعملة فى القواميس فقال الزمخشرى فى الاساس : تقول لى قبل فلان تبعة أى ظلامة . فانت ترى ان كلمة حمالة فى قولنا ألقينا على فلان حمالة هذا الامر . وفلان يتولى حمالة هذا العمل كأنما خلقت لما نريد

٨ ـ نَزْعة : فى القواميس نزع الى الشيء مال والمرة منه نزعة أي ميل وتلك الكلمة أولى من كلمة عاطفة التى هي فاعلة من العطف وهو الميل ؛ ومحاولة فهم المصدر من لفظ الفاعل بعيدة وذلك لانهم اذا قالوا عاطفة شريفة فأنما يريدون (عطف شريف) وقد قامت كلمة النزعة بكل مايراد من العاطفة مع مساوقتها لطرق الاشتقاق الصريحة

٩ ـ نَزْغة : جعلت هذه الكلمة «لعاطفة الشر» كما يقولون لان معانى النزغ اغراء الشيطان بالشر كانه ينخس الجانى ليحثه على المعاصي

١٠ ـ القَلْم شاع . فى الاستعمال كلمة مزود لما يحمله الكشاف على ظهره من نحو الجراب يضع فيه طعامه وبعض أدواته من حبال وغيرها وقد عثرت فى القاموس بكلمة قلع لما يضع فيه الراعى زاده وأصرته وتواديه (حباله وأخشابه) . فاذا راعينا المناسبة بين

الكشاف والراعى كانت كلمة قلع كانما خلقت للمراد منها الآن فى اصطلاح الكشف

١١ ـ التفانى ـ المفاداة : استعمل الادباء كثيرا كلمة تضحية وهى عربية حقا ولكنها تحتاج الى بعض تأول اذا استعملت مفردة ذلك لانها لا تؤدى معناها كاملا الا اذا اتبعت بالجار والمجرور فقيل التضحية بالنفس وإن كنا لا نعدم تخريجا لحذفهما . اما كلمة التفانى أو المفاداة فمع استغنائهما عن ذلك تؤديان المعنى كاملا مبالغا فيه كما نريد

١٢ ـ الطَّبق يقول الناس هذا هو الدور الاول من البيت وهذا البيت ذو ثلاثة ادوار وكلمة طبق وجمعها أطباق أو طباق تدل على المراد دلالة مطابقة فان طبق الشيء غطاؤه وما علاه وأطباق البيت يعلو بعضها بعضا والله قد قال فى كتابه الكريم متحدثا عن السموات وانها بعضها فوق بعض (الذى خلق سبع سموات طباقا)

١٣ ـ مرافق الدار تقول القواميس المرافق ما ينضم الى البيت من نحو مصاب المياه وغيرها مما هو ضرورى للمنازل وذلك هو ما تقول عنه دورة المياه أو دائرة المياه (ان تفصحنا) . وأرى ان اشتقاق دورة أو دائرة صحيح أو قريب من الصحة ولكنه غير الاولى والأليق

١٤ ـ صيُّور ذكر أهل اللغة ان الصيور هو الرأى الذى يصير اليه الانسان ويرجع حتى قالوا المتردد « ليس له صيور يرجع اليه) وأرى ان هذه الكلمة أولى بالاستعمال بديلا من كلمة مبدأ التي مهما قلبناها على وجوه الاشتقاق فلا تدل الا على البدء أو مكانه ونحن نحملها ظلما ماليس بمعناها

فهـــرس

صفحة		صفحة	
٢	مقدمة الطبعة الثانية	٢٢	تعزية عن ولد
٣	مقدمة الطبعة الاولى	٢٣	تسلية عن تأخر رقى
٥	الانشاء	٢٤	نماذج من كتابة الانشاء
	نماذج من الرسائل		شرح بيتين
	كتاب شكر	٢٥	« « «
٦	آخر فى هذا المعنى		« بيت
	فى الشكر	٢٦	« « «
٧	« « «		« ثلاثة أبيات
٨	شكر ووداع من طلبة لمعلمهم	٢٧	« بيت
	ثناء على مؤلف	٢٨	« بيتين
١٠	شكر على هدية		« ثلاثة أبيات
١١	تهنئة برتبة	٣٠	« « أربعة «
١٣	تهنئة بوسام النيل	٣١	الوفاء شيمة الأحرار
١٤	كتاب شوق	٣٤	طول العمر من أسباب السعادة
١٥	آخر فى الشوق	٣٦	أشد اعوانك الحاجة اليك
١٦	شكر لعالم	٣٩	أفاضل الناس . . .
١٧	خطبة وداع لراحل	٤١	وكل امرىء يولى الجميل يحبب
١٨	كتاب مفاكهة	٤٤	الأثر الصالح للقصص الخيالية
٢٠	تهنئة بعيد وشكر على حفاوة	٤٨	وصف الصاحب السوء
٢١	تعزية عن والد		

صفحة

٥١ وصف حديقة
٥٣ « منزل
٥٥ فضل الغناء
٥٦ ضرر الكذب بالفرد والأمة
٥٨ فضل جماعة الاسعاف
٦٠ تكريم النابغين
٦٢ البحيرة (ترجمة قصيدة لامارتين)
٦٦ خطبة وداع واستقبال
٦٧ فوائد احصاء السكان
٦٨ أثر النقابات الزراعية
الجرائم وسببها وعلاجها
٦٩ مصير الترف الى الدمار
وما الحسن فى وجه الفتى ..
٧٠ البيت مملكة تديرها المرأة
٧١ الهجرة . والى أين تكون . وماذا تفيد ؟
٨٢ مقارنة بين سكنى المدن والقرى
٧٣ المختار

(الفصل الاول)

سحر العرب

صفحة

عمر بن الخطاب بالشام
٧٤ استخلاف يزيد بن معاوية
أبو قلابة والقضاء
٧٥ خطة زياد
الرغبة عن القضاء
٧٦ الآراء فى عمر بن الخطاب
عمر والمال
٧٧ وصية قائد
الوفاء حتى الوفاة
حيرة الغادر
٧٨ حكمة اعرابى
حسن العزاء
الذعر فى الحرب
٧٩ الحجاج والمهلب
أسرى معن
أدق المسالك
٨٠ جود حاتم
٨١ التحصين بالعدل
تمام الامانة
٨٢ موعظة خليفة
خليفة وابنه
تجربة حكيم

صفحة

٨٣ جواب «
اياس فى الشام
الحسن بن على واليهودى
٨٤ اعجاب خطيب
حسن الاعتذار
مدح
٨٥ ذم
معاوية وموت الحسن
استنجاز وعد
٨٦ مدح
البلاغة بعد الحصر
٨٧ أسلوب الحكيم
٨٨ فهم الشعر
٨٩ مثال آخر
٩٠ مثال ثالث
٩١ « رابع
نقد
٩٢ زكن اياس
نقد
٩٣ الاشارة بالقول
٩٤ قوة الصبر والرباطة
٩٥ الاغترار

صفحة

٩٦ جواب مسكت
بلاغة الارتجال
أقسام النعمة
٩٧ كلام فى صلح
٩٩ مرض الروح
خطاب الملوك
١٠٠ مملوك ثم سيد
تعليم الشعر
١٠٢ (الفصل الثانى)
الفكاهة
عبدل وممدوحه
١٠٣ طبق أشعب
أشعب والسمك
١٠٤ أيهما أشد حبا
اعتذار أبى كعب
الدهن فى الاذن
١٠٥ مرآة بشار
بشار والاصمعى
١٠٦ بشار والجنازة
بشار ثاقب لؤلؤ
الاعمى وقائده
الجزء الذى يتجزأ

صفحة

١٠٧ المدعى الابله
الطب القاتل
١٠٨ أقبح تعزية
بخيلان يتعاونان
الاعرابى والغزو
القائد الجبان
١٠٩ طيلسان بن حرب
١١١ حيلة طفيلى
موت ابو دلامة
١١٢ ابو دلامة يهجو نفسه
١١٣ أبو دلامة وصائد الكلب
أبو دلامة وسلمة
١١٤ الشاعر المغرب
نصيحة سائل
١١٥ الاصمعى والسائل
دعوة غير مستجابة
١١٦ باقل والظبى
طمع أشعب
أشعب والعرس
١١٧ البيت والقبر
نعمان والاعمى
١١٨ عيب مقبول

صفحة

ميتة مامولة
الاعرابى والحجاج
١١٩ نوم الأعمش
رؤيا أشعب
الزوج السادس
حجر الرحى
١٢٠ الاعرابى المتنحنح
انتظار الشمس
المصيبة العريضة
ولمة الجرادة
١٢١ اللحية المنقوعة
الثأر القديم
خطبة وال
الاحتياط فى المدح
١٢٢ القوس المجان
القيد المفتول
الموت من الفرح
فالوذ موسى
١٢٣ القارىء برغيف
الهدف السليم
كتفوني معهم
الوجه القبيح

صفحة

١٢٤ التدحرج الى أعلى
عروس كالرجة
الحكم على غائب
١٢٥ الشعر القاتل

(الفصل الثالث)

الوصف
صفة الرجل الكامل
١٢٧ الأعراب بالكعبة
١٢٨ هياج البحر ثم سكونه
١٣٠ وصف حالة الارمد
وصف فرس
١٣١ تعريف عن هارب
١٣٢ البغدادى يصف المصريين
وصف الاهرام
١٣٤ هدم الهرم الصغير
١٣٥ وصف فرس البحر
١٣٦ البطيخ العبدلى
الباسية
١٣٧ القلقاس
وصف الربيع والجدب
١٣٨ الحب المتبادل — وصف
ذكى فصيح

صفحة

صفة كبش هرم
١٤٠ صفة اكول
١٤١ لعب الصوالجة والاكر
١٤٣ صفة رجل
وصف ثقيل
١٤٤ وصف الفيل
وصف السماء قبل المطر وبعده
١٤٥ (الفصل الرابع)
الكتابة
١٤٦ الكلام يغنى عن الحسام
١٤٨ شكر الله
كتاب مقاطعة
١٤٩ استبطاء المكاتبة
اختلاس ميعاد
١٥٠ فى الثناء
فى المدح ايضا. فى الاستعفاء
١٥١ كتاب عزل
سيرة وال
١٥٢ كتاب تهديد
اسلوب عجيب
١٥٣ دعوة الى مجلس

صفحة

كتاب استنجاد

١٥٤ كتاب شفاعة وتعريض
في الشوق

١٥٥ تلا فى النزاع
تلهب الشوق

١٥٦ فضل الغناء

١٥٧ ثناء
تعزية عن انهدام بيت

١٥٨ مدح الفقر

١٥٩ فى الشوق
فى الشوق أيضا

١٦٠ تعزية وتحذير من اخوان السوء

١٦١ أبلغ تعزية — الى مريض —

١٦٢ حسن المحضر

بلاغة الجاحظ

١٦٣ وصف ما بين القط والفار

صفحة

١٦٤ طبيعة الحمام

١٦٦ فضل الكتب

١٧٠ العالم الصغير

١٧٣ حكمة الخالق فى الحيوان المؤذى

١٧٥ ذم الكلب والديك

١٧٨ العبرة فى خلقة الحيوان

١٨١ عجائب ما فى الكلب

١٨٣ فروج الدجاجة وفرخ الحمام

١٨٥ الاستعداد والميل

١٨٧ الشهرة من الحظ

١٩٢ أحساس الحيوان

١٩٧ اللغة
الفروق

٢٠٥ الاضداد

٢١٢ الكلمة تغنى عن كلمات

٢١٥ قديم فاتنا استعماله

تنبيه — يحسن ان يعجل القارىء باصلاح هذه الاغلاط فى اماكنها حتى لا يفوته الصواب

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
٥	١٣	الامال	الآمال
٧	١٠	طيـها	طيّـها
٦٤	١٣	فأخفيت	فأحفيت
٨٠	٩	صببتا	صببتنا
١٢٦	٩	الثلة	مثله
١٢٧	٤	تغدهم	تعذهم
١٢٧	٩	انكبابها	انكبابهم
١٢٨	١١	الغربية	الغريبة
١٣٢	٤	فضاريون	فضاويون
١٣٢	١٧	خلقه	خلقة
١٦٣	٦	فاجاه	فاجأه
١٦٦	١	منها	منهما
١٧٣	١١	التخبير	التخوير
١٧٤	٧	بسره	يسره
١٧٦	١٦	بهائهم	بهائم
١٨١	٤	وحتى كأن	وحتى كأنه
١٨٣	٤	ومعارفهما	معا ورفعهم
١٨٤	٥	تتباعد	تباعد

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
١٨٦	١٠	هذا لهذا السبب	لهذا هذا السبب
١٨١	١٥	الاشياء	الاشعار
١٩١	٧	بأعبانها	بأعيانها
١٩١	١٧	القدسين	القوسين
٢٠٦	٥	يجتذى	يحتذى